دلالة الألوان

في السياق القرآني والنبوي

دراسة وصفية تحليلية في ضوء دلالة السياق

إعداد الدكتور/

مجدي فتحي محمد محمد قشيوط

أستاذ أصول اللغة المساعد في قسم اللغة العربية في

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

دلالة الألوان في السياق القرآني والنبوي دراسة وصفية تحليلية في ضوء دلالة السياق

مجدي فتحي محمد محمد قشيوط

قسم اللغة العربية ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ،القاهرة، مصر

البريد الالكتروني: MagdiMohammed717.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى دراسة دلالة اللون في السياق القرآني والنبوي ونعني بذلك الدلالة السياقية أي سياق النص وما ينطوي عليه من معانٍ ودلالات عميقة داخل أفق النص، فالسياق هو الذي يحدد دلالة اللون من خلال تفاعل الدلالة اللونية مع دلالات الكلمات المجاورة لها في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن هنا يظهر جمالية اللون عبر السياق فقط.

وبغيتنا في هذا البحث الكشف عن دلالة الألوان من خلال النص القرآني والنبوي، وآل عنوان هذا البحث إلى (دلالة الألوان في السياق القرآني والنبوي دراسة وصفية تحليلية في ضوء دلالة السياق).

وتحدثت فيه عن مفهوم اللون والدلالة السياقية ومدلولات اللون في اللغة. واللون في التراث العربي. ودلالة الألوان في السياق القرآني. ودلالة الألوان في السياق النبوي.

وتبين من خلال هذا البحث أن دراسة الألوان من الدراسات الممتعة التي تحتاج إلى وعي الدارس وثقافته، وتحتاج إلى تعمق الدارس في فهم الدلالة اللونية في تركيبها السياقي، كما أن اللون نعمة كغيرها من نعم الله ووسيلة من وسائل التعبير والخطاب، وهو قوة موحية تؤثر في جهازنا العصبي

فيبعث فرحة لا يستهان بها عند التطلع إليه، وهو شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة، وأن اللغة العربية استوعبت دلالات الألوان وتدرجاته وتبايناته المختلفة ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

الكلمات المفتاحية: دلالة الألوان– السياق القرآني– السياق النبوي– دلالة السياق.

The connotation of colors in the Qur'anic and prophetic context is an analytical descriptive study in light of the significance of the context

Magdy Fathy Mohamed Mohamed Qashyout

Assistant Professor of Arabic Language,In the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Cairo,eygpt.

Email: MagdiMohammed717.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims at the connotation of color in the Qur'anic and prophetic context, and by that we mean the contextual significance, that is, the context of the text and its deep meanings and connotations within the horizon of the text. Hence the aesthetic of color appears through context only.

Our intention in this research is to uncover the connotation of colors through the Qur'anic and prophetic text, and all the title of this research is (the connotation of colors in the Qur'anic and prophetic context is a descriptive and analytical study in light of the significance of the context.)

And I talked about the concept of color, the contextual significance, and the connotations of color in the language. And color in the Arab heritage. And the connotation of colors in the Quranic context. And the significance of colors in the prophetic context.

It was found through this research that the study of colors is one of the interesting studies that need the awareness of the student and his culture, and it needs to deepen the student in understanding the color connotation in its contextual structure, and that color is a blessing like

other graces of God and a means of expression and discourse, which is a suggestive force that affects our system. Al-Asabi sends a joy that cannot be underestimated when looking at it, and it is silent poetry organized by the rhetoric of nature, and that the Arabic language has absorbed the connotations of colors and its various gradations and contrasts represented in the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet.

Keywords: color connotation- Quranic context- prophetic context- context indication.

المقدمــة

الحمد لله الذي وفّق للنطق الفصيح مَنْ يريد، وحفظ اللغة العربية بأن جعلها وعاء كتابه المجيد، سبحانه علام الغيوب بيده وحده تثبيت القلوب، لك الحمد ربنا على نعمك التي لا نحصيها عدّاً، ولا نعرف لها أمداً، ولا تنقطع عنا أبداً، أحمده سبحانه حمد المعترف بنعمائه، الشاكر لآلائه، الراجي مزيد عطائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أفصح مَنْ نطق بالضاد، مفتاح الرحمة، ومصباح الظلمة، وكاشف الغمة عن الأمة، أكرم العرب نسباً وخلقاً، وأفصحها بياناً ونطقاً، وعلى آله وأصحابه المنقادين للصواب خير انقياد، ورضي الله تعالى عن العلماء الأمجاد، الذين اجتهدوا لنفع العباد.

أما بعد،،،،،،،،،،،،

فقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما في الكون وسخره لخدمة الإنسان ولتحقيق راحته واستقراره، وقد تجلت قدرته تعالى في مخلوقاته فخلقها بأشكال جميلة وألوان بديعة زاهية، فاللون آية من آيات الله كما أن اختلاف الألسن آية من آيات الله، فقد قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[1] فإن للون أثراً فاعلاً في الحياة البشرية، فهو حقيقة ابتدأت مع بدء الكون وتستمر باستمراره وستبقى بعد فنائه، وهو شاهد على القدرة والإبداع الإلهي، وعلامة دالة على هيئة الذات أو الشخص أو المشهد؛ ترمز إلى معنى خاص له أثره على الأشياء، ولم يكن اللون ظاهرة بصرية فقط وإنما تجاوز ذلك إلى دلالة

(1) سورة الروم آية ٢٢

جمالية وذهنية ونفسية ووجدانية ودلالات أخرى يثيرها اللون عندما يرد في سياقات مختلفة.

وحينما نتحدث عن دلالة اللون في السياق القرآني والنبوي فإننا نعني بذلك الدلالة السياقية أي سياق النص وما ينطوي عليه من معانٍ ودلالات عميقة داخل أفق النص، فالسياق هو الذي يحدد دلالة اللون من خلال تفاعل الدلالة اللونية مع دلالات الكلمات المجاورة لها في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن هنا يظهر جمالية اللون عبر السياق فقط، وهذه الجمالية تنقسم إلى قسمين: جمالية اللون الحسن، وجمالية اللون فيما يتصور أنه قبيح حيث " لا يستدل العقل على حسن الأفعال أو قبحها لمجرد العلم وإنما نظر الإنسان فعلم حسن الحسن وقبح القبيح وعرف أنه مستحق الذم والعقاب على المعاصي، ويستحق المدح والثواب على الطاعات كان ذلك أقرب إلى اختيار الطاعة واجتناب المعصية. " [1]

وبغيتنا في هذا البحث الكشف عن دلالة الألوان من خلال النص القرآني والنبوي، وآل عنوان هذا البحث إلى (دلالة الألوان في السياق القرآني والنبوي دراسة وصفية تحليلية في ضوء دلالة السياق).

وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع جملة من الأسباب أهمها ما يلي:

١ـ خدمة اللغة العربية، هذه اللغة التي بها يفهم مراد الله تعالى في كتابه، ومراد رسوله ﷺ في سنته.

([1]) حد اللغة بين المعيار والاستعمال لعبد السلام المسدي بحث منشور في مجلة الأقلام العدد ٥ سنة ١٩٨٥م ص٧

٢ ـ أهمية البحث في توضيح نظرة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للألوان من حيث تنوعها ودلالاتها وما لها من قدرة على التأثير على النفوس.

٣ ـ جِدّة الموضوع، وطرافته، فلم يكتب فيه ـ فيما أعلم ـ قديماً سوى إشارات وأقوال متناثرة في كتب اللغة ومعاجمها ولكنها متفرقة تحتاج إلى جمع، وحديثاً سوى مباحث قصيرة عارضة في مؤلفات بعض المعاصرين؛ أو أبحاث مستقلة بهذا الموضوع، وسنعرض هذا بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا البحث.

ويأتي هذا البحث ليضيف جانباً جديداً ومهماً في دراسة الألوان فشمل دراستها في النص الشرعي (القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة) كما كان جُل الاهتمام بالدلالة السياقية للألوان في النص الشرعي، وبيان القيمة الدلالية لسياق الكلمات، وهذا جانب لم يتطرق إليه أحد ممن تناول هذا الموضوع فتفردت هذه الدراسة به.

٤ ـ إظهار أهمية اللون كأحد أهم عناصر التشكيل في حياة البشر وكيف أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وضح تلك الأهمية من خلال سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٥ ـ إظهار الدلالات المختلفة للألوان؛ فكل لون ذكر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف له دلالة خاصة، كما يكون للون الواحد مجموعة من الدلالات.

واقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس، **فالمقدمة:** تحدثت فيها عن الموضوع وأهميته وأسباب اختياري له

وخطته. **والمبحث الأول:** مفهوم اللون والدلالة السياقية ومدلولات اللون في اللغة. **والمبحث الثاني:** اللون في التراث العربي. **والمبحث الثالث:** دلالة الألوان في السياق القرآني. **والمبحث الرابع:** دلالة الألوان في السياق النبوي. **والخاتمة:** ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

هذا هو عملي وهو جهد المقل، ولا أدعي الكمال، وما أبرئ نفسي من الأخطاء فكل ابن آدم خطاء، وحسبي أني اجتهدت ما وسعني الاجتهاد، وكفى بالمرء نية خالصة وجهد مبذول، والله من وراء القصد، فهو الموفق إلى كل خير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[1]

✍ الدكتور / **مجدي فتحي محمد محمد قشيوط**

أستاذ أصول اللغة المساعد في قسم اللغة العربية

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

(1) سورة البقرة جزء من آية ٢٨٦

المبحث الأول

مفهوم اللون والدلالة السياقية ومدلولات اللون في اللغة

المبحث الأول

مفهوم اللون والدلالة السياقية ومدلولات اللون في اللغة

تعد الألوان من عناصر الجمال التي حبانا الله بها، واللون من العوامل المثيرة للانفعالات النفسية القابعة داخل كل إنسان وتحركها إلى صور ورموز من شخص لآخر حسب ما يشعر به وما افتعلته تلك الألوان[١]، ومن هنا نستطيع تفسير اللون لغة واصطلاحاً وتحديد ماهية اللون ودلالته من خلال النقاط التالية:

مفهوم اللون لغة:

ورد لفظ اللون بمعان مختلفة في معاجم العربية، فمنها الهيئة والفصل، ففي العين: "اللون: معروف، وجمعه: ألوان، والفعل: التلوين والتلون. واللينة: كل لون من النخل والتمر هو لينة. "[٢]

وفي جمهرة اللغة: " لون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان. وفي التنزيل: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[٣]. وتلون فلان علينا، إذا اختلفت أخلاقه. "[٤]

---

[١] توظيف اللون في شعر ابن الرومي رسالة دكتوراه للباحثة/نارمين محب عبد الحميد حسن بجامعة الزقازيق كلية الآداب إشراف أد/أحمد يوسف ص٦

[٢] العين للخليل بن أحمد ج٨ ص٣٣٢(ل و ن)تحقيق د/مهدي المخزومي ود/إبراهيم السامرائي ط/مؤسسة الأعلمي ببيروت ط/الأولى سنة ١٩٨٨م ١٤٠٨هـ

[٣] سورة الروم جزء من آية ٢٢

[٤] جمهرة اللغة لابن دريد ج٢ ص٩٨٨ (ل و ن) تحقيق/رمزي منير بعلبكي ط/دار العلم للملايين ببيروت ط/الأولى سنة ١٩٨٧م

ويقول ابن منظور: " اللون: هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون. ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، وقد تلون ولون ولونه. " [١]

ويقول ابن فارس: " اللام والواو والنون كلمة واحدة، وهي سحنة الشيء: من ذلك اللون: لون الشيء، كالحمرة والسواد، ويقال: تلون فلان: اختلفت أخلاقه. " [٢]

ويقول الزمخشري: " لوّنت الشيء فتلوّن. ويقال: كيف نخلكم فيقولون: حين لوّن أي أخذ شيئاً من اللون وتغير عما كان. وجئت حين صارت الألوان كالتلوين وذلك بعد المغرب أي تغيرت عن هيئاتها لسواد الليل فلم يبق الأبيض في مرأى العين أبيض ولا الأحمر أحمر. ولوّن الشيب فيه ووشّع إذا بدا في شعره وضح الشيب. " [٣]

وفي المعجم الوسيط: " (اللون) صفة الجسم من السواد والبياض والحمرة وما في هذا الباب واللون الأولي أحد أقسام الطيف الأصلية (مج) (ج) ألوان والنوع يقال أتى بألوان من الحديث والطعام وتناول كذا وكذا لونا من الطعام." [٤]

---

[١] لسان العرب لابن منظور ج٥ ص٤١٠٦ (ل و ن) تحقيق/عبد الله علي الكبير وآخرين ط/دار المعارف بمصر دون تاريخ

[٢] مقاييس اللغة لابن فارس ج٥ ص٢٢٣ (ل و ن) تحقيق/عبد السلام هارون ط/دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

[٣] أساس البلاغة للزمخشري ج٢ ص٣٥٨ (ل و ن) تقديم/محمود فهمي حجازي ط/الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة الذخائر رقم ٩٥ مايو٢٠٠٣م

[٤] المعجم الوسيط أخرجه د/إبراهيم أنيس وآخرون ص٨٤٧ (ل و ن) ط/دار المعارف ط/ثانية سنة١٤٠٠هـ١٩٨٠م

ويقول الراغب الأصفهاني: " اللون معروف، وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما، ويقال: تلون: إذا اكتسى لوناً غير اللون الذي كان له. قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1] ، وقوله:﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[2] فإشارة إلى أنواع الألوان واختلاف الصور التي يختص كل واحد بهيئة غير هيئة صاحبه، وسحناء غير سحنائه مع كثرة عددهم، وذلك تنبيه على سعة قدرته. ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع. يقال: فلان أتى بالألوان من الأحاديث، وتناول كذا ألواناً من الطعام. " [3]

مفهوم اللون اصطلاحاً:

عرفه ابن رشد بقوله: " اللون هو اختلاط الجسم المشف بالفعل وهو (النار) مع الجسم الذي لا يمكن فيه أن يستشف وهو الأرض. " [4]

ويعرف اللون في الدراسات العلمية الكيميائية والفيزيائية بأنه خاصية ضوئية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري للجسم على طول

---

[1] سورة فاطر جزء من آية ٢٧

[2] سورة الروم جزء من آية ٢٢

[3] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٥٧ تحقيق/محمد سيد كيلاني ط/دار المعرفة بلبنان دون تاريخ

[4] رسائل ابن رشد ص٢٩ ط/مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدرأباد ط/الأولى سنة ١٩٤٧م

موجة الضوء الذي يعكسه، فالجسم الذي يعكس كل الموجات يبدو لونه أبيض، والذي لا يعكس أية موجة يبدو أسود. [١]

واللون هو الصفة التي تميز أي لون، ونتعرف على مسماه ومظهره بالنسبة لغيره، واللون هو إحساس له شروط بعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل للعين وطول موجته وزاويته ولونه. [٢]

وللألوان علاقة وثيقة بالضوء الذي من خلاله يتم تمييزها؛ لذا أثبت نيوتن أن الضوء هو أصل اللون، فلا يمكن للعين إدراك اللون وتمييزه إلا بوجود الضوء. [٣]

كما أن للون عدد من المسميات إذ تتعدد مسميات الألوان في اللغة وتختلف تبعاً لتعدد الألوان في الطبيعة واختلافها، إذ نجد عشرات الأسماء

---

[١] الموسوعة العربية الميسرة لمحمد شفيق غربال وآخرين ج٦ ص٢٩٠٥ ط/المكتبة العصرية ببيروت ط/الثالثة سنة ٢٠٠٩م

[٢] الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخطوطات العربية لحنان عبد الفتاح محمد مطاوع بحث منشور في مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ١٨ ص٤٢٠ واللغة واللون لأحمد مختار عمر ص٩١ ط/عالم الكتب بمصر ط/الثانية سنة ١٩٩٧م

[٣] جماليات اللون في شعر لسان الدين بن الخطيب رسالة دكتوراه للباحث/ منور محمد الحربي إشراف أد/يونس شنوان بجامعة اليرموك بالأردن سنة ٢٠١٨م ص١٥ والألوان ليحيي حمودة ص٢٥ ط/مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٦٥م

للتعبير عن اللون الواحد وذلك حسب درجات اللون، وهو ما عرف قديماً باسم إشباع اللون. [١]

واللون في الحقيقة هو طاقة مشعة لها طول موجي، يختلف في ترده وتذبذبه من لون إلى آخر، وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكية باستقبالها، وترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكية على ثلاثة ألوان هي الأخضر، والأحمر، والأزرق، وبقية الألوان تتكون من مزج هذه الثلاثة، وقد اكتشف العلماء أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية، والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي إلى السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكياتنا. [٢]

ماهية الألوان ودلالاتها:

تنقسم الألوان إلى ألوان أساسية أو الأصلية، وأخرى مشتقة منها، وقد اختلف العلماء في تحديد عدد الألوان الأساسية الأصلية، فالثعالبي يرى أن الألوان الأساسية هي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر، وذلك حينما تعرض إلى ألوان الإبل، فقال: " فإذا كان ديزجاً فهو أخضر. فإذا كان سواده في شقرة فهو أدبس. فإذا كانت كمتته بين البياض والسواد

---

[١] الألوان في معجم العربية لخليفة عبد الكريم بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٣٣ سنة ١٩٨٧م ص ٣٦، ٣٧

[٢] اللون ودلالته في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحثه/نجاح عبد الرحمن المرازقة إشراف د/حسن محمد الربابعة بجامعة مؤتة سنة ٢٠١٠م ص١١، ١٢ والألوان ودلالاتها في القرآن الكريم لسليمان بن علي الشعيلي بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية المجلد الرابع العدد الثالث سنة ٢٠٠٧م ص٦٢

فهو ورد أغبس وهو السمند بالفارسية.... في ألوان الإبل إذا لم يخالط حمرة البعير شيء فهو أحمر. فإن خالطها السواد فهو أرمك. فإن كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث فهو أورق. فإن اشتد سواده فهو جون. فإن كان أبيض فهو آدم. فإن خالطت بياضه حمرة فهو أصهب. فإن خالطت بياضه شقرة فهو أعيس. فإن خالطت حمرته صفرة وسواد فهو أحوى." [١]

ويرى الجاحظ أنها أربعة وهي: الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، فقد ذكر في بيانه أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون عن لبس لوني الأحمر والأصفر لأن نساء آل فرعون كن يرتدينها، يقول: " وفي الحديث المأثور: «إن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر، ويقولون: هو من زينة نساء آل فرعون."[٢]

ويذكر لوني الأبيض والأسود موضحاً أنهما لباس الشعراء فيقول: " وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود، وكل ثوب مشهر. وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعر يتزيا بزي الماضين، وكان له برد أسود يلبسه في الصيف والشتاء. " [٣]

---

[١] فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص٧١ تحقيق/عبد الرزاق المهدي ط/دار إحياء التراث العربي ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

[٢] البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص٧٢ ط/دار ومكتبة الهلال ببيروت سنة ١٤٢٣هـ

[٣] المرجع السابق ٣/ ٧٨، ٧٩

وعد النمري الألوان الأساسية خمسة فقال: " إن الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضاً، وسواداً، وحمرة، وصفرة، وخضرة. " [١]

وحدد الدكتور أحمد مختار عمر الألوان الأساسية فقال: " وضع Berlin و kay في كتابهما Basic color Terms أسساً للتمييز بين مفردات الألوان الأساسية، ومفردات الألوان الثانوية، وقد تضمنت قائمة الألوان الألفاظ الأساسية عندهما ما يأتي: أبيض، أسود، أحمر، أخضر، أصفر، أزرق، بني، أرجواني، وردي، برتقالي، رمادي (لاحظ أنها خلت من البنفسجي) والمجموع أحد عشر لفظاً. " [٢]

ويرى محمد شفيق غربال أن الألوان الأساسية للضوء أو الطيف هي: الأحمر والأخضر والأزرق، وهي بالاتحاد تكون كل الألوان، والصبغات الأساسية هي الأحمر والأصفر والأزرق وأي لونين ينتجان اللون الأبيض عند مزجهما يسميان لونين متكاملين. [٣]

وأما الألوان الفرعية فهي مشتقة من أسماء الأزهار والفاكهة والنبات والمعادن والفلزات مثل: اللون الوردي والبنفسجي والبرتقالي والزمردي والنحاسي والفضي وغيرها. [٤]

---

[١] الملمع للنمري ص١ تحقيق/وجيهة أحمد السطل مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط/مطبعة زيد بن ثابت بدمشق سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م

[٢] اللغة واللون ص٣٥

[٣] الموسوعة العربية الميسرة ٢٩٠٥/٦

[٤] جماليات اللون في الشعر ابن المعتز نموذجاً لعبد الفتاح نافع بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة عنابة بالجزائر العدد الرابع سنة ١٩٩٩م ص١٢٢

وهناك الألوان المختلطة غير مستقلة بذاتها ولكنها مركبة مع ألوان أخرى، فاللون البني مركب من الأحمر مع الأسود أو الأخضر مع البرتقالي. ونتيجة للاختلاف بين الألوان نجدها تعددت واختلفت وتناسبت ولذا كانت مسمياتها في اللغة عديدة فنجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد، وهي تختلف باختلاف درجات اللون وهو ما عرف قديماً باسم إشباع اللون أو تأكيده. [١]

ونقف عند دلالة أهم هذه الألوان في النقاط التالية، ولنبدأ باللون الأبيض.

أولاً: اللون الأبيض:

اللون الأبيض لون يعبر عن الصفاء والنقاء وهو لون فاضل، ويعني الأمل النابع في وسط الظلام وله تأثير فعال يوحي بالصدق والأمانة كما يوحي بالبراءة والإخلاص. [٢]

وللأبيض تقاليد رمزية عالية التداول في صنع الدلالة وترميزها في أفق الاستخدام المعنوي والسيميائي، فهو في السياق الدلالي العام رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام، كما أنه وفي السياق ذاته والرؤية ذاتها رمز للصفاء ونقاء السريرة والهدوء والأمل وحب الخير والبساطة في الحياة وعدم التقيد والتكلف. وقد ينحرف اللون الأبيض عن هذه المعاني

---

[١] الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية ص٤٢٢ والألوان في معجم العربية ص٤٤

[٢] دلالة الألوان في شعر المتنبي لعيسى متقي زاده وخاطره أحمدي بحث منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الرابعة العدد الخامس عشر سنة ٢٠١٤م ص١٣٥

الإيجابية في بيئات وأمكنة وأحياز وأزمنة وأوقات معينة إلى معان تناقض تلك المعاني التقليدية وتقف على الضد منها

تقريباً؛ فهو مثلاً للحزن لدى بعض الأمم ومنها أمة الصين. [١]

وفي العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدساً ومكرساً لإله الرومان Jupiter، وكان يضحي له بحيوانات بيضاء، ولأن اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاوة فإن المسيح عادة ما يمثل في ثوب أبيض، وفي مصر القديمة كان الفرعون يرتدي تاجاً أبيضاً ليرمز لسيطرته على مصر العليا مما يشير إلى أنها كانت تعيش بسلام وطمأنينة، ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباساً أثناء الحج والعمرة، وكفناً للميت.[٢]

ثانياً: اللون الأسود:

اللون الأسود هو اللون الأكثر هيمنة على حياة البشر، والأكثر تدخلاً في مصائرهم منذ أقدم الأزمنة وفي معظم الثقافات على مر العصور أيضاً، والأكثر تشكيلاً لتقاليدهم وحساسية لتعاملهم مع الأشياء في الحياة، والأوسع استجابة لخوفهم وأحزانهم ومعاناتهم والتفافهم حول ذواتهم وتشبثهم بالمكان. [٣]

---

[١] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي لمرضية آباد ورسول بلاوي بحث منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الثانية العدد الثامن سنة ٢٠١٢م ص ١٧

[٢] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص١٧ واللغة واللون ص١٦٣، ١٦٤

[٣] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص ٢٠

واللون الأسود محبب للنفس حيناً وبغيض أحياناً أخرى، وذلك حسب موضعه وسياقه الذي يقع فيه؛ فهو محبب في الشعر والعين واللثة، لكن يستنبط منه في معظم الأحيان الحزن والتشاؤم، فقد كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته. [١]

ولم يأت ارتباط التشاؤم باللون الأسود عبثياً، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات، والمواقف الحزينة أو غير البهيجة، فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن، فربطوا السواد بالموت، فنجد أن المرأة إذا مات أحد أقاربها لبست اللون الأسود، وإذا مات أحد الملوك وضع على طرف صورته شريط أسود، وشاع بينهم الخوف من الظلام، وما يحمله من مجهول، فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، ولم يرتبط اللون الأسود في الطبيعة بأي شيء ذي بهجة، ونجد اللون الأسود مرتبطاً في الطبيعة بكثير من الأشياء المنفرة، فهو مرتبط بالغراب، والغراب مرتبط في أذهان العامة بالفراق والموت، والسواد مرتبط بالليل، والليل مخيف موحش. [٢]

ثالثاً: اللون الأحمر:

تعددت دلالات اللون الأحمر في التراث الشعبي، وتباينت مفهوماته بصورة تجعله لوناً مميزاً، وقد جاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح وبعضها يثير الألم والانقباض، فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر، ومن ارتباطه بلون النار مادة الشيطان استعمل للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، ومن

---

[١] دلالة الألوان في شعر المتنبي ص١٣٦

[٢] اللون ودلالاته في القرآن الكريم ص٢٦ واللغة واللون ص٢٠١

ارتباطه بالذهب والياقوت والورد استعمل رمزاً للجمال، ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة

استعمل رمزاً للخجل والحياء تارة، وللغضب تارة أخرى، وغير ذلك. [١]

ويرمز الأحمر في الديانات الغربية إلى التضحيات في سبيل المبدأ والدين، وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات، ويرمز اللون الأحمر عند الهندوس إلى الحياة والبهجة، وله علاقة بالدم عند ولادة الطفل، وتدفق الدماء، وبعض القبائل تلطخ المولود بالدم حتى يكون له فرصة في العيش مدة طويلة، كذلك اللون الأحمر لون القوة والحياة والحركة، ويعتبر اللون الأحمر عاطفياً لون الحب الملتهب والتفاؤل والقوة والشباب. [٢]

رابعاً: اللون الأخضر:

يعد اللون الأخضر من أكثر الألوان في التراث الشعبي استقراراً في دلالاته وهو من الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض، ويبدو أنه استمد معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد، ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق وفي نعيم الآخرة. [٣]

---

[١] اللغة واللون ص٢١٢

[٢] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص ٢٤، ٢٥

[٣] اللغة واللون ص٢١٠

واللون الأخضر هو لون الحياة والحركة والسرور؛ لأنه يهدئ النفس ويسرها، وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل، وهو لون الربيع والطبيعة الحية والحدائق والأشجار والأغصان والبراعم. [١]

خامساً: اللون الأصفر:

ليس للون الأصفر إيحاءات ثابتة، فهو تارة يستمد دلالته من لون الذهب، وتارة من لون

النحاس، كما يستمدها أحياناً من صفرة الشمس عند المغيب، وأحياناً من لون بعض الثمار مثل الليمون والتفاح، والطيب مثل الزعفران، والصبغ مثل الورس، وفي أحيان أخرى يستمدها من النبات الذابل حين يجف فيميل لونه إلى الاصفرار. [٢]

ويعتبر اللون الأصفر من أشد الألوان فرحاً؛ لأنه منير للغاية ومبهج، وهذا اللون يمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية؛ لأنه لون الشمس مصدر الضوء وواهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور، واستخدمه المصريون القدماء رمزاً لآلهة الشمس، وللوقاية من المرض. وللون الأصفر دلالة أخرى تناقض الأولى، وهي دلالته على الحزن والهم والذبول والكسل والموت والفناء، ربما الدلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحاري الجافة وصفرة وجوه المرضى. [٣]

---

[١] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص ١٢

[٢] اللغة واللون ص٢١٤

[٣] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص ٢٦

سادساً: اللون الأزرق:

هو الأقل شيوعاً في الموروث الإنساني لاسيما في العصر الجاهلي وأهميته بالدرجة الأولى لاقترانه بالسماء. [١]

ولم يتحدد مدلول الأزرق عند العرب بل تداخل مع ألوان أخرى كالأبيض والأخضر، وهو إلى جانب هذا من الألوان النادرة في الطبيعة، كما أن درجاته تتفاوت تفاوتاً كبيراً يقربه من الأبيض حيناً، ومن الأسود حيناً، فنحن نطلق على الأزرق الفاتح: لبني أو سماوي، وعلى الأزرق القاتم: كحلي أو نيلي، ولعل ما نقله ابن الخطيب من أن لباس الحزن في غرناطة بالأندلس كان أزرق اللون يعود إلى الأزرق القاتم الذي يقربه من الأسود. [٢]

ونظراً لتفاوت درجات اللون الأزرق تفاوت دلالاته، فالأزرق القاتم نظراً لاقترابه من الأسود يثير النفور والحقد والكراهية، وقد ارتبط بالغول والجن والقوى السلبية في الأرض، في حين يرتبط الأزرق الفاتح بالماء والسماء فهو مناسب للهدوء والبرودة، وبقيت تدرجات هذا اللون بين هذين الحدين. [٣]

ويعتبر اللون الأزرق لون الوقار والسكينة والهدوء والصداقة والحكمة والتفكير، واللون الذي يشجع على التخيل الهادئ والتأمل الباطني، ويخفف من حدة ثورة الغضب، ويخفف من ضغط الدم ويهدئ من ضغط الدم

---

[١] دلالة الألوان في شعر المتنبي ص١٤٥

[٢] اللغة واللون ص٢١٨

[٣] دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي ص ٢٨

والتنفس، وقد كره العرب اللون الأزرق والعيون الزرقاء، فاتهموا أصحابها بالكذب واللؤم والشر. [١]

مفهوم السياق في لغة العرب:

ورد لفظ السياق عند أصحاب المعاجم في مادة (س و ق) والتي يراد بها عند ابن فارس حدود الشيء إذ نراه يقول : " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدود الشيء."[٢] وقد جعل ابن منظور معناها التتابع فنراه يقول: " وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة. " [٣]

ولم يذكر ابن فارس في مقاييسه ولا ابن منظور في لسانه (سياق الكلام) كذلك الجوهري في صحاحه، في حين جعل الزمخشري (سياق الكلام) ضمن المعاني المجازية إذ نراه يقول: " ومن المجاز : ساق الله إليه خيراً وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و(إليك يُساق الحديث) وهذا الكلام مساقة إلى كذا. " [٤]

فلفظ السياق ورد استعماله مجازياً مع كل من: المتكلم الذي يسوق الحديث، والمخاطب (إليك يساق الحديث)، والكلام (أي النص المكتوب)، وذلك في قوله: هذا الكلام سياقه كذا.

---

[١] نفسه

[٢] مقاييس اللغة ٣/ ١١٧ (س و ق)

[٣] لسان العرب ٣ / ٢١٥٤ (س و ق)

[٤] أساس البلاغة ١/ ٤٦٨ (س و ق)

وفي المعجم الوسيط : "وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجرى عليه."[١]

أما في استعمال اللغويين من غير أصحاب المعاجم فقد ورد لفظ السياق مراداً به المعاني الآتية[٢]:

١- تتابع الكلمات في الجمل أو الجمل في النصوص، وقد ورد ذلك في استعمال ابن جني للفظ عندما قال: " وليس يجوز أن يكون ذلك (أي تكلف ما تكلفته العرب من الاستمرار على وتيرة واحدة وتقريها منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه) كله في كل لغة لهم، وعند كل قوم منهم، حتى لا يختلف، ولا ينتقض، ولا يتهاجر، على كثرتهم، وسعة بلادهم، وطول عهد زمان هذه اللغة لهم، وتصرفها على ألسنتهم، اتفاقاً وقع، حتى لم يختلف فيه اثنان، ولا تنازعه فريقان، إلا وهم له مريدون، وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون."[٣]

٢- المقام الذي يصاحب الكلام، وقد ورد ذلك في قول أبي عبيد القاسم بن سلام وهو يشرح الحديث الشريف " .....إذا لم تستح فاصنع ما شئت "[٤] عندما قال : "وهذا الحديث ليس يجيء سياقه ولا لفظه على هذا

---

[١] المعجم الوسيط ص٤٦٥ (س و ق)

[٢] دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي ص٢٦،٢٧ ط/ دار المنار سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م

[٣] الخصائص لابن جني ج١ ص٢٣٩ تحقيق/محمد علي النجار ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/الرابعة سنة ١٩٩٩م

[٤] أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب (الزهد) باب (الحياء) حديث رقم ٤١٨٣ ج٢ ص١٤٠٠ تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ط/عيسى البابي الحلبي دون تاريخ

التفسير."[١] قاصداً قول جرير[٢] في تفسير الحديث الشريف، فجعل السياق مقابلاً للفظ.

٣- القصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها مضافاً إلى ذلك ما يستفاد من المقال، من ذلك ما ذكره السيوطي في النوع التاسع والعشرين " بيان الموصول لفظاً المفصول معنى في مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٣] يقول السيوطي : "إن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق."[٤]

والسياق الذي يشير إليه هنا يتمثل في أمرين : الأول سياق الموقف أو اختلاف القصة المفسرة لنزول الآيات وذلك حيث انتهت قصة آدم عند قوله تعالى " فيما آتاهما "وأما ما بعد ذلك فقد تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم

---

[١] غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ج٣ ص٣١ ط/دار الكتاب العربي ببيروت سنة١٩٧٦م ١٣٩٦هـ

[٢] قول جرير في تفسير الحديث: معناه أن يريد الرجل أن يعمل الخير فيدعه حياءً من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء، يقول: فلا يمنعك الحياء من المضي لما أردت.

[٣] سورة الأعراف آية ١٨٩، ١٩٠

[٤] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ص٩٠ ط/ مصطفى البابي الحلبي ط/ثالثة سنة ١٣٧٠هـ سنة ١٩٥١م

الأصنام، أما الأمر الآخر الذي يدل عليه السياق فهو تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان.[١]

ويقترح (إمر) الألماني تصنيفاً رباعياً للسياق على النحو الآتي:

١ – السياق اللغوي: ويقصد به علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات الأخرى.

٢ – سياق المقام: ويقصد به الموقف الذي تنطق فيه الكلمة.

٣ – السياق العاطفي: ويرتبط بالانفعال العاطفي الذي تستعمل فيه الكلمة.

٤ – السياق الثقافي: ويقصد به البيئة الثقافية أو الاجتماعية للكلمة. [٢]

مفهوم الدلالة السياقية:

نعني بالدلالة السياقية في العربية: " مجرى الكلام واتجاهه، ونعني به هنا: مؤدي الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ أو تحديد المعاني المراده من بين معانيها. " [٣]

يقول أولمان : "وكلمة السياق قد استعملت حديثاً في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة

---

[١] دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ص٢٧

[٢] علم الدلالة بين النظرية والتطبيق د/هويدي شعبان هويدي ص١٣١ ط/دار الثقافة العربية ط/ثانية سنة ١٩٩٥م

[٣] المعنى بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجاحظ تأليف د/ محمد عبد الحفيظ العريان ص١٧ ط/أولى سنة ١٩٩٣م

واللاحقة فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله. كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن. " [١]

وبين الدكتور تمام حسان الدلالة السياقية بأنها دراسة الكلمة عن طريق المجاورة في السياق بوصفها نواة الدلالة أو لأنها ذات معنى معجمي محدد. [٢]

[١] دور الكلمة في اللغة تأليف ستيفن أولمان ترجمة د / كمال محمد بشر ص٦٢ ط/مكتبة الشباب سنة ١٩٩٢م

[٢] مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص١٣١ ط/مكتبة الأنجلو المصرية دون تاريخ

المبحث الثاني

اللون في التراث العربي

المبحث الثاني: اللون في التراث العربي

امتازت اللغة العربية بكثرة المصطلحات الدالة على الألوان، وقد ازدادت هذه الألفاظ وتنوّع استعمالها في العصور اللاحقة، ولعل ذلك يعود إلى تغير ظروف الحياة وتقدم الحضارات وازدهار اللغة التي هي مظهر من مظاهر التقدم في الحياة عبر العصور، وقد اهتمت اللغة العربية بالألوان وعنيت بها، واشتدت هذه العناية في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس، حتى بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد بها أبواب خاصة في مصنفات اللغويين المشهورين.[١]

إن دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور، تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل. إذ تمثل الألوان ملمحاً جمالياً في الشعر العربي منذ القدم، ورغم افتقار الصحراء العربية للألوان إلا أن نصوص الشعر العربي القديم جاءت حافلة بالدلالات اللونية، ربما كان ذلك تعويضاً عن جدب الواقع وجفاف الصحراء؛ لذا عني العربي قديماً بالألوان عناية فائقة[٢]، ومن خلال السطور التالية

---

[١] لونيات ابن خفاجه الأندلسي لزهراء زارع خفري ود/صادق عسكري ود/محترم عسكري بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها العدد التاسع سنة ٢٠١٢م ص ٨٠ واللون ودلالته في الشعر لظاهر محمد هزاع الزواهرة ص١٦ ط/دار الحامد للنشر والتوزيع بالأردن ط/الأولى سنة٢٠٠٨م

[٢] دلالات الألوان في شعر نزار قباني رسالة ماجستير للباحث/أحمد عبد الله محمد حمدان جامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين كلية الدراسات العليا سنة ٢٠٠٨م ص٢٩

نتناول جهود علماء اللغة في دراسة الألوان في كتبهم ولعل من أهمها ما يلي:

(١) من أقدم ما وصل إلينا من المصنفات اللغوية التي أفردت مكاناً خاصاً بالألوان كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) فقد تحدث فيه أبو عبيدة عن عناية العرب بالخيل وإيثارهم لها، وذكر أشعارهم في ذلك، وما قالته عرب الجاهلية من الأشعار في اتخاذ الخيل، وبين مكانتها في الإسلام، وتحدث عما ورد في فضلها من الأحاديث والآثار، وأورد صفاتها وعيوبها، وما تستحبه العرب في الخيل وما لا تستحبه، وخصص جزءاً مهماً من كتابه للحديث عن ألوان الخيل فأجمل ألوانها بقوله: أدهم وأخضر وأحوى وكُميت وأشقر وأصفر ووَرْد وأشهب وأبرش، ومُلَمَّع، ومولّع، وأشيم. [١] وقد تحدث عن ما يزيد عن ثمانين لوناً تحدث عنها في كتابه الخيل، وهو في ذلك كله يعرفها ويحدد دلالاتها اللونية، جاعلاً من كل منها لوناً مستقلاً بذاته، مميزاً لما يدل عليه في المدى اللوني بتموجاته الدقيقة التي تنشأ عن تمازج الألوان وتداخلها. [٢]

(٢) وترجم من اليونانية إلى العربية وظهر منقحاً في العربية كتاب (سر الخليقة وصنعة الطبيعة ـ كتاب العلل) لمؤلفه بلينوس الحكيم ويرجع إلى عصر المأمون حوالي سنة ٢٠٠هـ، وقد تحدث هذا الكتاب عن الألوان، فتحت عنوان (القول في الألوان) يورد صاحبه ما يلي: " اللون هو جنس الأجناس، وإنما سمي جنس الأجناس لأنه مَقَسَّم للبياض والسواد والحمرة

---

[١] الخيل لأبي عبيد معمر بن المثنى ص١٠٣. ١٠٨ ط/مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالدكن الهند ط/الأولى سنة ١٣٥٨هـ

[٢] الألوان في معجم العربية ص١٣

والصفرة والخضرة والأسمانجونيّ. فأما القديم من الألوان فإنما هو اثنان: البياض والسواد، وهما جنسان قديمان، ومنهما تتركب الحمرة والصفرة والخضرة ولون السماء. ومن هذه الألوان تتركب جميع الألوان، وذلك أنه إذا اجتمع اللون الأبيض مع اللون الأسود، فغلب الأسود الأبيض بجزء كان هناك لون أصفر، وإذا تكاثف الأبيض على الأسود وتداخل الأسود في الأبيض كان هناك لون أحمر مشقوق، وإذا غلب السواد البياض بدرجة كان هناك لون اسمانجوني. [١] ويتحدث عن تمازج الألوان فيقول: " وأما الأخضر فإنه يتولد بين السواد والبياض، وذلك لأننا نرى الأخضر محتملاً للونين، أعني بذلك السواد والبياض، لأنا رأينا فيه أجزاء السواد والبياض."[٢]

(٣) وتناول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الألوان في كتابه الحيوان تحت عنوان (الأضواء والألوان) [٣] وكذلك تناول الألوان تحت عنوان (جملة القول في الضد والخلاف والوفاق) [٤]، ويقول في باب (أصل الألوان كلها): " وقد جعل بعض من يقول بالأجسام هذا المذهب دليلاً على أن الألوان كلها إنما هي من السواد والبياض، وإنما يختلفان على قدر المزاج، وزعموا أن اللون في الحقيقة إنما هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد

---

[١] سر الخليقة وصنعة الطبيعة كتاب العلل لبينوس الحكيم ص٤٧٣ تحقيق/أورسولا واير ط/حلب سنة ١٩٧٩م

[٢] المرجع السابق ص٤٧٩

[٣] الحيوان للجاحظ ج٥ ص٥٦ تحقيق/عبد السلام هارون ط/مصطفى البابي الحلبي ط/الأولى سنة ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م

[٤] المرجع السابق ٥/ ٥٧، ٥٨

على البياض، إذ كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت عن البياض فلا تزال كذلك إلى أن تصير سواداً." [١]

(٤) ولأبي محمد ثابت بن أبي ثابت (من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري) كتاب خلق الإنسان جعل فيه باباً خاصاً بألوان الشَّعر[٢]، وباباً آخر في صفات ألوان الحدقة، وفيه يقول: "وفي العين الشُّكْلة، وهي حمرة تخلط البياض، يقال: اشْكَالَّت عينه اشكلالاً، ورجل أشكل العين، وامرأة شكلاء، ومن ثم يقال: أشكل عليه أمره، أي اختلط، وكل خِلْطَين فهو أشكل، من بياض وحمرة، أو حمرة وسواد. " [٣]

(٥) ولأبي عبد الله الحسين بن علي النمري (ت ٣٨٥هـ) كتاب (الملمّع) حرص فيه على تحديد معاني الألوان من خلال نصوص وشواهد شعرية اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام، وقد استهل كتابه بعد التحميد والدعاء بقوله: "إن الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضاً وسواداً وحمرة وصفرة وخضرة، فجعل منها أربعة في بني آدم: البياض والسواد والحمرة والصفرة. " [٤]وقد أحصينا في هذا الكتاب أكثر من مائة وأربعين لفظة دالة على ألوان مختلفة.

---

[١] الحيوان ٥/٥٩

[٢] خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ص٨٥ ـ ٨٨ تحقيق/عبد الستار أحمد فراج ضمن سلسلة التراث العربي الصادرة عن وزارة الإعلام بالكويت ط/مطبعة الكويت ط/الثانية سنة ١٩٨٥م

[٣] المرجع السابق ص١٣١

[٤] الملمع ص١

(٦) وخصص الخطيب الاسكافي (ت ٤٢١هـ) في كتابه مبادئ اللغة باباً سماه (باب ألوان الخيل) يقول فيه: " البهيم والمُصْمَت: كل ذي لون واحد لا شية فيه، ما خلا الأشهب فإنه لا يقال له: بهيم، وقد يقال له مصمت. فمن ذلك: الدُّهم، وهي ستة أنواع: أدهم غَيهَب: وهو أشدها سواداً، وأدهم دَجُوجيٌّ: صافي السواد، ثم يليه أدهم يحموم، وأدهم أحمُّ أُشربت سَراته وحَجْزَته حمرة، وبعده أدهم جَوْن: وهو أهونها سواداً وعلى لبَّتها حمرة، ثم أدهم أكهب: وهو إلى الكدورة. ثم الحُوُّ: جمع أحوى، وهو أهون سواداً من الجون، ومناخره محمرة، وشاكلته مصفرة. " [١]

(٧) وللثعالبي (٤٢٩هـ) كتاب فقه اللغة وسر العربية وفيه أفاض في الحديث عن الألوان، ففي الباب الثالث عشر من مصنفه يتحدث عن الألوان، وسماه (في ضروب من الألوان والآثار) وجعل هذا الباب في فصول، فكان الفصل الأول: في ترتيب البياض، والفصل الثاني: في تقسيم البياض واللغات فيه، والفصل الثالث: في تفصيل البياض، والفصل الرابع: في بياض أشياء مختلفة، والفصل الخامس: فيما يناسب البياض، والفصل السادس: في ترتيب البياض في جبهة الفرس ووجهه، والفصل السابع: في بياض سائر أعضائه (أي الفرس)، والفصل الثامن: أورد فيه ما هو معتمد في دواوين الدولة من الألوان والشيات التي تميز بها الخيل، فجعله تحت عنوان (فصل يتصل به في تفصيل ألوانه وشياته)، والفصل التاسع: في ألوان الإبل، والفصل العاشر: في ألوان الضأن والمعز وشياتها، والفصل الحادي عشر: في ألوان الظباء، والفصل الثاني عشر: في ترتيب السواد

---

[١] مبادئ اللغة مع شرح أبياته للخطيب الاسكافي ص١٩٦ تحقيق د/عبد المجيد دياب ط/دار الفضيلة للطبع والنشر سنة ٢٠٠٠م

على الترتيب والقياس والتقريب، والفصل الثالث عشر: في ترتيب سواد الإنسان، والفصل الرابع عشر: في تقسيم السواد على أشياء توصف به مع اختيار أفصح اللغات، والفصل الخامس عشر: في سواد أشياء مختلفة، وكذلك الفصل السادس عشر، والفصل السابع عشر: في لواحق السواد، والفصل الثامن عشر: في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه، والفصل التاسع عشر: في تقسيم الحمرة، والفصل العشرين: في الاستعارة، وذلك مثل: عيش أخضر، وموت أحمر، ونعمة بيضاء، ويوم أسود وعدو أزرق، والفصل الحادي والعشرين: في الاشباع والتأكيد، مثل: أسود حالك، أبيض يقق، أصفر فاقع، وأخضر ناضر، وأحمر قانئ، والفصل الثاني والعشرين: في ألوان متقاربة، والفصل الثالث والعشرين: في تفصيل النقوش وترتيبها[1]، ومن هنا فإن الثعالبي قد اعتنى عناية كبيرة بالألفاظ الدالة على الألوان في هذا الباب من كتابه النفيس، فقد حرص على اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها في هذا المجال، مما جمعه من المصادر السابقة وأخذه عن أئمة اللغة، مع حسن ترتيب وإيجاز يتصف بالدقة والوضوح. [2]

(٨) ولابن سيده (ت٤٥٨هـ) كتاب (المخصص) تناول في السفر الأول منه الحديث عن صفات ألوان الحدقة، وألوان الشفة، وفي السفر الثاني يفرد للألوان بحثاً خاصاً، فيورد آراء أئمة اللغة في تعريف اللون، ثم يتحدث عن السواد والبياض واختلاط الألوان، وفي السفر الرابع يتحدث عن ألوان اللباس، وفي السفر الخامس يتحدث عن تغير اللون من المرض واليُبس،

---

[1] فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ص١٢١. ١٢٨ تحقيق/ياسين الأيوبي ط/المكتبة العصرية ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

[2] الألوان في معجم العربية ص٣١

وفي السفر السادس يفرد بحثاً مطولاً عن ألوان الخيل، وكذلك يفرد في السفر السابع بحثاً خاصاً عن ألوان الإبل، ويتحدث في السفر نفسه عن شيات الضأن والمعز ونعوتهما، وفي السفر الثامن يتحدث عن نعوت الظباء من قبل ألوانها، ويتحدث كذلك عن ألوان البقر وألوان الحمر[١]، وهكذا كان المخصص لابن سيده مصدر مهم في مجال الألفاظ الدالة على الألوان المختلفة.

(٩) ولابن جزي الكلبي (من علماء القرن الثامن الهجري) كتاب (الخيل) تحدث فيه عن ألوان الخيل وبيّن الشيات والأوضاح والتحجيل والدوائر وما يستحب من ذلك وما يكره، مستشهداً بأقوال الرواة وعلماء اللغة والشعراء، كما تحدث عن ماهية الألوان، والألوان الأصيلة وهي عنده خمسة: البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة، وما عداها الألوان الفرعية، كما تحدث عن أفضل الألوان كلها وأشرفها، ثم ينهي كلامه بخلاصة لهذا الموضوع يضعها تحت عنوان (تلخيص مفيد وتمهيد أكيد) [٢]

---

[١] المخصص لابن سيده السفر الأول ص ٩٩ـ ١٠١ وص١٤٢، ١٤٣ والسفر الثاني ص١٠٣ـ ١١١ والسفر الرابع ٩٥، ٩٦ والسفر الخامس ص٧٢، ٧٣ والسفر السادس ص١٥٠ ـ ١٥٣ والسفر السابع ص٥٥ـ ٥٧ وص١٩٢ـ ١٩٧ والسفر الثامن ص ٢٥، ٢٦، ٤٠، ١٤٨على الترتيب تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي ببيروت ط / دار الآفاق الجديدة ببيروت دون تاريخ

[٢] الخيل مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال لابن جزي الكلبي ص٤٩. ٧٦ تحقيق/محمد العربي الخطابي ط/دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

وقد أشار أصحاب معاجم الألفاظ إلى الألوان في كتبهم في مواضع متفرقة ومن أهم هذه المواضع ما يلي:

(١٠) تناول الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) الألوان في معجمه (العين) في مواضع عدة، منها قوله: " والعوهق: لون كلون السماء مشرب سواداً. " [١]

وقوله: " البقع: لون يخالف بعضه بعضا مثل الغراب الأسود في صدره بياض، غراب أبقع، وكلب

أبقع. " [٢] وقوله: " وكل لون سواد مشرب حمرة: جون. " [٣]

(١١) كذلك تعرض أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) في كتابه الجيم للألوان في مواضع عدة منها قوله: " الأَكْهَبُ: الذي يشبه لون الدخان. " [٤]

وقوله: " وقال الأَكوعيُّ: الأَكدرُ من الظِّباءِ: لون التُّراب. " [٥]

(١٢) ويذكر ابن دريد (ت ٣٢٥هـ) في الجمهرة الألوان في مواضع عدة منها قوله: "والجؤوة فِي وزن الجعوة: لون من ألوان الْخَيل وَهِي أكدر من الصدأة. " [٦]

---

[١] العين ١/ ٩٧ (ع هـ ق)

[٢] العين ١/١٨٤ (ب ق ع)

[٣] المرجع السابق ٦/ ١٨٥ (ج و ن)

[٤] الجيم لأبي عمرو الشيباني ج٣ ص١٥٠ (ك هـ ب) تحقيق/إبراهيم الإبياري ط/الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

[٥] المرجع السابق ٣/ ١٤١ (ك د ر)

[٦] جمهرة اللغة ١/٢٣٠ (ج أ ي)

وقوله: " والشهبة: لون من شيات الْخَيل. " [١]

وقوله: " والفضحة: لون بين الغبرة والحمرة. " [٢]

(١٣) وفي معجمه ديوان الأدب يتناول الفارابي (ت ٣٥٠هـ) الألوان في أكثر من موضع منها قوله: " الأدبس: الأحمر المشرب سوادا من ذوات الشعر. " [٣]

وقوله: " الأخصف: الأبيض الخاصرتين من الخيل والغنم. والأخصف: لون كلون الرماد فيه سواد وبياض. " [٤]

وقوله: " يقال: ما بالفرس شية، وأصلها من وشى يشي، وهي بياض في لون السواد، أو سواد في لون البياض. " [٥]

(١٤) كما تناول الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في تهذيبه الألوان في مواضع متعددة نقل أغلبها من العين عن الليث، ونذكر منها على سبيل المثال قوله:"وقال الليث: السعرة في الإنسان: لون يضرب إلى

سواد فويق الأدمة. " [٦]

---

[١] المرجع السابق ٣٤٦/١ (ش هـ ب)

[٢] المرجع السابق ٥٤٥/١ (ف ض ح)

[٣] ديوان الأدب للفارابي ج١ ص٢٦٨ (باب أفعل) تحقيق د/أحمد مختار عمر ط/دار الشعب سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

[٤] المرجع السابق ٢٦٩/١ (باب أفعل)

[٥] المرجع السابق ٣/ ٢٢٢(باب أفعل)

[٦] تهذيب اللغة للأزهري ج٢ ص٥٣ (س ع ر) تحقيق/محمد عوض مرعب ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت ط/الأولى سنة ٢٠٠١م

وقوله: " وقال الليث: العيس والعيسة: لون أبيض مشرب صفاء في ظلمة خفية. " [١]

وقوله: " قال الليث: الصحمة: لون من الغبرة إلى سواد قليل. " [٢]

(١٥) ويأتي الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في محيطه فيتناول الألوان في أكثر من موضع، منها قوله: " والأصحر: لون أبيض مشرب حمرة. " [٣]

وقوله: " الصحمة: لون من الغبرة إلى السواد القليل. " [٤]

وقوله: " الجون: الأسود من الإبل، والأنثى جونة، والجميع الجون. وكل لون سواد مشرب حمرة: جون، أو سواد مخالطه حمرة كلون القطا. " [٥]

(١٦) واهتم الجوهري (ت ٣٩٣هـ) في الصحاح بالألوان فتناولها في مواضع عدة، منها قوله: "قال أبو عمرو: الكُهْبَةُ: لونٌ ليس بخالصٍ في الحمرة، وهو في الحمرة خاصة."[٦]

وقوله: " الشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض. وفي الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب. فإن اسودا فهو الكميت. وبعير أشقر، أي شديد الحمرة. " [٧]

---

[١] المرجع السابق ٣/ ٦٠ (ع ي س)

[٢] المرجع السابق ٤/ ١٦٠ (ص ح م)

[٣] المحيط في اللغة للصاحب بن عباد ج٢ ص٤٥٥ (ص ح ر) تحقيق/محمد حسن آل ياسين ط/عالم الكتب ط/الأولى سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

[٤] المرجع السابق ٢/ ٤٧٢ (ص ح م)

[٥] المرجع السابق ١٩١/٧ (ج و ن)

[٦] الصحاح ٢١٥/١ (ك هـ ب)

[٧] الصحاح ٧٠١/٢ (ش ق ر)

وقوله: " الغبس بالفتح: لون كلون الرماد، وهو بياض فيه كدرة. " [١]

(١٧) وكذلك كان اهتمام ابن فارس(ت٣٩٥هـ) في المجمل بالألوان كبيراً، فقد تناولها في مواضع عدة منها قوله: " البهقُ: سواد يعتري الجلد أو لون يخالف لونه. " [٢]

وقوله: " والدغمة في الخيل: أن يخالف لون وجهه سائر جسده ولا يكود إلا سواداً."[٣]

وقوله: " الربدةُ: لون النعام، وهو أن يكون سوادهُ مختلطاً بكدرةٍ... وشاة ربداءُ: وهي السوداء المنقطة بحمرةٍ وبياض. " [٤]

وقوله: " والارجوان: كل لون أحمر. " [٥]

وفي مقاييس اللغة مواضع عدة منها قوله مثلاً: " فالحور: شدة بياض العين في شدة سوادها. " [٦]

وقوله: " والأخطب: الحمار تعلوه خضرة. وكل لون يشبه ذلك فهو أخطب."[٧]

---

[١] المرجع السابق ٩٥٥/٣ (غ ب س)

[٢] مجمل اللغة لابن فارس ج١ ص١٣٧ (ب هـ ق) تحقيق/زهير عبد المحسن سلطان ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

[٣] مجمل اللغة ٣٢٨/١ (د غ م)

[٤] المرجع السابق ٤١٣/١ (ر ب د)

[٥] المرجع السابق ٤٢٣/١ (ر ج و)

[٦] مقاييس اللغة ٢/ ١١٥ (ح و ر)

[٧] المرجع السابق ١٩٩/٢ (خ ط ب)

وقوله: " الصاد والباء والحاء أصل واحد مطرد. وهو لون من الألوان قالوا: أصله الحمرة. قالوا: وسمي الصبح صبحا لحمرته، كما سمي المصباح مصباحا لحمرته."[١]

(١٨) وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) لم يكن بأقل اهتمام من غيره، فقد ذكر الألوان في مواضع كثيرة في محكمه منها قوله: "الناصع، والنصيع: البالغ من الألوان، الصافي منها، أي لون كان. وأكثر ما يقال في البياض. " [٢]

وقوله: " والعرم والعرمة: لون مختلط بسواد وبياض في أي شيء كان، وقيل: هو تنقيط بهما من غير أن يتسع، كل نقطة منه عرمة عن السيرافي. " [٣]

وقوله: " والورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء. " [٤]

(١٩) وفي معجمه (أساس البلاغة) يهتم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بالألوان كثيراً، فيقول مثلاً: "خز أدكن. وجبة دكناء، وهي بينة الدكنة والدكن وهو لون بين سواد وحمرة."[٥]

ويقول أيضاً: " وفرس مصمت: بهيم لا شية فيه على أي لون كان. " [٦]

---

[١] المرجع السابق ٣٢٨/٣ (ص ب ح)

[٢] المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ج١ ص٤٤٥ (ن ص ع) تحقيق/عبد الحميد هنداوي ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ

[٣] المرجع السابق ٢/ ١٤٦ (ع ر م)

[٤] المحكم والمحيط الأعظم ٤٢٤/٩ (و ر د)

[٥] أساس البلاغة ١/ ٢٧٨(د ك ن)

[٦] أساس البلاغة ٢٦/٢ (ص م ت)

ويقول أيضاً:"فرس صنابي:لون بين الصفرة والحمرةنسب إلى الصناب وهو الخردل مع الزبيب."[١]

(٢٠) وتناول الصغاني (ت ٦٥٠هـ) في عبابه الألوان في مواضع عدة، نذكر منها مثلاً قوله: "الأحلس:الذي في وسطه لون يُخالف سائر الألوان التي تكون في وسطه. "[٢]

وقوله: " والأخصف: لون كلون الرماد فيه سواد وبياض. " [٣]

وقوله: " والكَلَفُ – أيضاً –: لون بن السواد والحمرة؛ وحمرته كَدرة تعلو الوجه. "[٤]

(٢١) ويهتم الفيومي (ت ٧٧٠هـ) بالألوان في مصباحه اهتماماً بالغاً فيتناولها في مواضع عدة منها قوله: " والدبسة وزان غرفة لون في ذوات الشعر أحمر مشرب بسواد."[٥]

وقوله: " الربدة وزان غرفة لون يختلط سواده بكدرة وشاة ربداء وهي السوداء المنقطة بحمرة وبياض. " [٦]

---

[١] المرجع السابق ٢٨/٢ (ص ن ب)

[٢] العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني حرف السين ص ١٠٢ (ح ل س) ط/وزارة الثقافة والإعلام بالعراق سنة ١٩٨١م

[٣] المرجع السابق حرف الفاء ص١٤٥ (خ ص ف)

[٤] المرجع السابق حرف الفاء ص٥٤٧ (ك ل ف)

[٥] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ج١ ص٧٢ (د ب س) ط/المكتبة العلمية ببيروت دون تاريخ

[٦] المرجع السابق ١/ ٨٢ (ر ب د)

وقوله: " بهق الجسد بهقا من باب تعب إذا اعتراه بياض مخالف للونه وليس ببرص وقال ابن فارس سواد يعتري الجلد أو لون يخالف لونه فالذكر أبهق والأنثى بهقاء."[١]

وقوله: " والدبسة وزان غرفة لون في ذوات الشعر أحمر مشرب بسواد."[٢]

(٢٢) وابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب يتناول الألوان في مواضع عدة منها قوله: " الجاءة والجؤوة، بوزن جعوة: لون الأجأى وهو سواد في غبرة وحمرة، وقيل: غبرة في حمرة، وقيل كدرة في صدأة. " [٣]

وقوله: " ابن الأعرابي: الحسبة سواد يضرب إلى الحمرة؛ والكهبة: صفرة تضرب إلى حمرة؛ والقهبة: سواد يضرب إلى الخضرة؛ والشهبة: سواد وبياض؛ والحلبة: سواد صرف؛ والشربة: بياض مشرب بحمرة؛ واللهبة: بياض ناصع نقي؛ والنوبة: لون الخلاسي، وهو الذي أخذ من سواد شيئاً، ومن بياض شيئاً كأنه ولد من عربي وحبشية. " [٤]

وقوله: " وكساء مرنباني: لونه لون الأرنب. " [٥]

(٢٣) وفي قاموسه يهتم الفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ) بالألوان اهتماماً بالغاً فيذكرها في مواطن عدة منها مثلاً قوله: " والخطبة، بالضم: لون كدر مشرب حمرة في صفرة أو غبرة ترهقها خضرة. " [٦]

---

[١] المرجع السابق ١/ ٢٥ (ب هـ ق)

[٢] المرجع السابق ١/ ٧٢ (د ب س)

[٣] لسان العرب ١/ ٧١٦ (ج و أ)

[٤] لسان العرب ٨٦٧/٢ (ح س ب)

[٥] المرجع السابق ٣/ ١٧٤٢ (ر ن ب)

[٦] القاموس المحيط للفيروزأبادي ج١ ص٨١ (خ ط ب) تحقيق/مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثامنة سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

وقوله: " والكلفة، بالضم: لون الأكلف، أو حمرة كدرة. " [١]

وقوله: " والدخلة، بالكسر: تخليط ألوان في لون. " [٢]

(٢٤) ونقف عند الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) واهتمامه بالألوان في تاجه اهتماماً بالغاً فيتناولها في عدة مواضع منها قوله: " وكل لون خالط لوناً آخر فقد أشربه، وقد اشراب على مثال اشهاب. الإشراب: لون قد أشرب من لون. يقال: أشرب الأبيض حمرة، أي علاه ذلك. وفيه شربة من حمرة أي إشراب."[٣]

وقوله: " (الشهب محركة): لون (بياض يصدعه سواد) في خلاله (كالشهبة بالضم) لا البياض الصافي كما وهم فيه بعض. " [٤]

وقوله: " (و) الغيهب: (الشديد السواد من الخيل والليل). " [٥]

وقوله: " والسعرة، والسعر: لون يضرب إلى السواد فويق الأدمة. " [٦]

(٢٥) وفي العصر الحديث يظهر المعجم الوسيط فنرى فيه ذكر الألوان في مواضع عدة منها: " (البرغثة) لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل. " [٧]

---

[١] المرجع السابق ١/ ٨٥٠ (ك ل ف)

[٢] المرجع السابق ١/ ٩٩٨ (د خ ل)

[٣] تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج٢ ص١٠٣ (ش ر ب) تحقيق/علي شيري ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

[٤] المرجع السابق ٢/ ١٢٩ (ش هـ ب)

[٥] المرجع السابق ٢/ ٢٩٤ (غ هـ ب)

[٦] تاج العروس من جواهر القاموس ٦/ ٥٢٤ (س ع ر)

[٧] المعجم الوسيط ١ /٥٠ (ب ر غ ث)

ومنها: " (الحمرة) لون الأحمر وصبغ يحمر اللون. " [١]

ومنها: " (الحوة) لون تخالطه الكمتة مثل صدإ الحديد وحوة الوادي جانبه."[٢]

كما أشار المحدثون إلى الألوان وألفوا في ذلك كتباً ومباحث لغوية ومن أهم من تناول ذلك ما يلي:

(٢٦) لمحمود شكري الألوسي رسالة في الألوان نشرها سنة ١٩٢٤م في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وقد شرح فيها أرجوزة مختصرة نظمها أحد شراح الهداية الشيخ علي بن العز الحنفي الشهير بالشارح الجارح وذلك في تأكيد الألوان، وقد بدأها بمقدمة ذكر فيها ما كان من اختلاف في حقيقة اللون، وختمها بخاتمة ذكر فيها على حد تعبيره ما ظفر به في كتب اللغة من الأسماء الموضوعة للألوان المختلفة، حسبما نطق به العرب العرباء في قديم الزمان، وقد أشار إلى ألوان الخيل والشيات في كتاب فقه اللغة للثعالبي ولخص ما أورده ابن سيده مما له علاقة بالألوان. [٣]

(٢٧) ولأحمد مختار عمر كتاب (اللغة واللون) طبع بعالم الكتب سنة ١٩٩٧م

(٢٨) وألف عبد الكريم خليفة بحثاً في الألوان عنوانه (الألوان في معجم العربية) ألقاه في المؤتمر الثالث والخمسين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

---

[١] المرجع السابق ١٩٧/١ (ح م ر)

[٢] المرجع السابق ١/ ٢١٠ (ح و ي)

[٣] رسالة في الألوان لمحمود شكري الألوسي بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الأول الجزء الثالث ١٣٣٩هـ ١٩٢١م ص٧٦- ٨٣

سنة ١٩٨٦/ ١٩٨٧م ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٣٣ سنة ١٩٨٧م

(٢٩) وللباحثة/نارمين محب عبد الحميد حسن رسالة دكتوراه وعنوانها (توظيف اللون في شعر ابن الرومي) بجامعة الزقازيق كلية الآداب إشراف أد/أحمد يوسف

(٣٠) ولحنان عبد الفتاح محمد مطاوع بحث منشور في مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب عنوانه (الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخطوطات العربية)

(٣١) وللباحث/ منور محمد الحربي رسالة دكتوراه عنوانها (جماليات اللون في شعر لسان الدين بن الخطيب) إشراف أد/يونس شنوان بجامعة اليرموك بالأردن سنة ٢٠١٨م

(٣٢) وليحيي حمودة كتاب الألوان ط/مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٦٥م

(٣٣) وللباحثه/نجاح عبد الرحمن المرازقة رسالة ماجستير وعنوانها (اللون ودلالته في القرآن الكريم) إشراف د/حسن محمد الربابعة بجامعة مؤتة سنة ٢٠١٠م

(٣٤) ولسليمان بن علي الشعيلي بحث بعنوان (الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم) منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية المجلد الرابع العدد الثالث سنة ٢٠٠٧م

(٣٥) ولعبد الفتاح نافع بحث بعنوان (جماليات اللون في الشعر ابن المعتز نموذجاً) منشور في مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة عناية بالجزائر العدد الرابع سنة ١٩٩٩م

(٣٦) ولعيسى متقي زاده وخاطره أحمدي بحث بعنوان (دلالة الألوان في شعر المتنبي) منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الرابعة العدد الخامس عشر سنة ٢٠١٤م

(٣٧) ولمرضية آباد ورسول بلاوي بحث بعنوان (دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي) منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الثانية العدد الثامن سنة ٢٠١٢م

(٣٨) وليلا قاسمي حاجي آبادي ومهدي ممتحن بحث بعنوان (الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي) منشور في مجلة دراسات الأدب المعاصر العدد التاسع السنة الثالثة

(٣٩) وللباحث عبد العزيز غنام المطيري رسالة ماجستير عنوانها (الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في العصر الأندلسي) إشراف أد/ عبد الرؤوف زهدي كلية الآداب والعلوم جامعة الشرق الأوسط ديسمبر ٢٠١٤م

(٤٠) ولأسماء وليد حمدون كتاب اللون في القرآن الكريم تناولت فيه تعريف اللون وجذوره التاريخية اللغوية وموارده القرآنية

(٤١) ولعياض عبد الرحمن أمين بحث بعنوان (تأويل اللون في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) منشور في مجلة كلية التربية الأساسية بجامعة المستنصرية العدد ٥٧ سنة ٢٠١١م

(٤٢) ولأسماء عوض الجميعي بحث بعنوان (تشكيلات الصورة عند جرير: الأبعاد اللونية والخيالية والنفسية) منشور في مجلة اللغة العربية بأسيوط العدد ٣٧ الجزء الثاني سنة ٢٠١٨م

(٤٣) وللباحثة سويزف فريدة رسالة دكتوراه عنوانها (جمالية اللون ودلالاته في الشعر العربي المعاصر. قراءة في ديوان بدر شاكر السياب) إشراف أد/بودالي التاج جامعة جيلالي ليابس ـ سيدي بلعباس ـ كلية الآداب واللغات والفنون سنة ٢٠١٦/ ٢٠١٧م

(٤٤) وللباحثة وسيلة رحالي رسالة ماجستير عنوانها (جمالية اللون في الشعر الأندلسي. ابن سهل الأندلسي أنموذجاً) إشراف أد/فاتح حمبلي كلية الآداب واللغات بجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي سنة ٢٠١٤/ ٢٠١٥م

(٤٥) ولأحمد عبد الله محمد حمدان رسالة ماجستير عنوانها (دلالات الألوان في شعر نزار قباني) إشراف أد/يحيي جبر وأد/خليل عودة جامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين كلية الدراسات العليا سنة ٢٠٠٨م

(٤٦) ولإحسان محمود سليمان بحث عنوانه (سيمائية الألوان في شعر الطبيعة الأندلسية) منشور في مجلة كلية اللغة العربية بجرجا العدد ٢٣ الجزء التاسع سنة ٢٠١٩م

(٤٧) ولنصرة محمد محمود شحادة رسالة ماجستير عنوانها (اللون ودلالته في شعر البحتري) إشراف أد/حسام التميمي جامعة الخليل كلية الدراسات العليا سنة ٢٠١٣م

(٤٨) ولشفيق جبري بحث عنوانه (لغة الألوان) منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد الرابع سنة ١٩٢٤م

(٤٩) ولزهراء زارع خفري والدكتور صادق عسكري والدكتورة محترم عسكري بحث عنوانه (لونيات ابن خفاجة الأندلسي) منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها العدد التاسع سنة ٢٠١٢م

(٥٠) ولعبد القادر حكيمي بحث عنوانه (الألوان في السنة النبوية دراسة موضوعية) منشور بمجلة الدراسات الإسلامية المجلد التاسع العدد الأول يونية ٢٠٢٠م

(٥١) ولعلوي الهاشم بحث عنوانه (إيقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة)

(٥٢) ولبشرى حمدي البستاني بحث عنوانه (جدل اللون في شعر خليل حاوي)

(٥٣) ولربابعة موسى بحث عنوانه (جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى) منشور بمجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات المجلد ٢ العدد ٢ سنة ١٩٩٨م

(٥٤) ولعبد الباسط محمد الزيود وظاهر محمد الظواهرة بحث عنوانه (دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب ديوان أنشودة المطر نموذجاً) منشور بمجلة دراسات للعلوم الاجتماعية والإنسانية المجلد ٤١ العدد ٢ سنة ٢٠١٤م

(٥٥) ولسمران نديم متوج رسالة دكتوراه عنوانها (دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي) إشراف أد/ عبد الكريم يعقوب جامعة تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

(٥٦) ولعبد القادر عبد الله فتحي الحمداني بحث بعنوان (التدبيج في القرآن الكريم) منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد ١١ العدد ٢ تحدث فيه عن اللون المباشر وغير المباشر في القرآن الكريم

(٥٧) وليوسف حسن نوفل كتاب (الصورة الشعرية والرمز اللوني) ط/دار المعارف قدم فيه دراسة إحصائية تحليلية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور

(٥٨) ولأبي إسلام أحمد بن علي بحث دلالات الألوان في القرآن قدم فيه إحصاءً للألوان في القرآن ودلالاتها اللغوية

(٥٩) ولضاري مظهر صالح كتاب (دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي) طبع بدار الزمان للطبع والنشر بسوريا سنة ٢٠١٢م

(٦٠) ولعبد الحميد إبراهيم كتاب (قاموس الألوان عند العرب) طبع بمطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٩م

(٦١) ولطه الفضل طه بحث (إشارات ودلالات الألوان في القرآن الكريم دراسة إحصائية) جامعة الزعيم الأزهري يناير ٢٠١٢م

ونستطيع أن نلقي الضوء على الفرق بين هذه الدراسات ودراستنا اللغوية الدلالية من خلال النقاط التالية:

١ـ الدراسات القديمة عبارة عن أقوال متناثرة في كتب اللغة والمعاجم وتحتاج إلى جمع، والدراسات الحديثة منها مَنْ اهتم باللون وجذوره التاريخية وموارده دون المساس بوروده في القرآن أو الحديث، ومنها من اهتم بورود اللون في الشعر، ومنها من اهتم بورود اللون في القرآن أو الحديث إجمالاً دون استقصاء أو إحصاء، أما دراستنا هذه فكانت محاولة لاستقصاء وحصر

للألوان في النص الشرعي (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) على حد سواء.

٢ ـ الدراسات السابقة تناولت اللون لم تَعْن بالجانب الدلالي السياقي، وإنما اهتم أغلبها بالجانب الأدبي فكان قدراً كبيراً منها في دراسة اللون في الشعر، كما تناول بعضها اللون من الجانب البلاغي فكان التدبيج وهو لون من ألوان البديع وهو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد بها التورية والكناية، ومنها من تناول اللون من الجانب الصوفي، وتفردت هذه الدراسة بالناحية الدلالية السياقية كما كانت دراسة وصفية تحليلية، ولم أعثر ـ حسب علمي ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] ـ على دراسة اهتمت بالدلالة السياقية للألوان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف معاً.

٣ ـ مما تفردت به هذه الدراسة أنها لم تكتف بإيراد أقوال المفسرين في الآية وشراح الحديث في الحديث وكذلك أقوال علماء اللغة في بعض جزئياتها بل جاء عقب دراسة كل لون في القرآن الكريم توضيح الدلالة السياقية للون، بل وتوضيحها في كل آية قرآنية مذكورة، وجاء عقب دراسة الألوان في الحديث النبوي الشريف بيان الدلالة السياقية للألوان في الحديث النبوي الشريف، وقد وضح جلياً القيمة الدلالية لسياق الكلمات في دراسة الألوان من خلال هذا النص الشرعي (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)، أما الدراسات السابقة فمنها من تناول اللون في القرآن أو الحديث الشريف دون شرح أو تحليل أو توضيح، ومَنْ شرح أو بين لم يتناول هذا الجانب الدلالي السياقي ولا القيمة الدلالية لسياق الكلمات.

---

[1] سورة الإسراء جزء من آية ٨٥

٤ـ إذا ما نظرنا إلى منهج الدراسات القريبة الصلة بدراستنا فسنجد مثلاً دراسة (ظاهرة اللون في القرآن الكريم لمحمد قرانيا) فكانت من أولى المحاولات في دراسة الألوان وهي غير كافية وتحتاج إلى تفصيل وتوضيح، ومثلها دراسة (الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم لسليمان الشعيلي) تناولت الألوان في القرآن الكريم وبيان مواضعها في الآيات القرآنية، وذكرت تفسير الآيات التي ورد فيها اللون، ولكنها دراسة موجزة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح، ودراسة (اللون ودلالته في القرآن الكريم للباحثة/نجاح عبد الرحمن المرازقة) وقد تحدثت عن وسائل نقل اللون في القرآن الكريم، وحينما تناولت دلالة الألوان في القرآن الكريم تحدثت عن دلالة اللون مفرداً وجمعاً وتتبعت مواضع ورود اللون في الآيات القرآنية ومحاولة إحصائها دون التمعن في بيان الوجهة الدلالية فهي محاولة مجملة تحتاج إلى تفصيل، كذلك جاءت لتتحدث عن الألوان وبيان الصورة الجمالية التي يعرضها القرآن الكريم وتوضيح أهمية اللون وكيف أتت الآيات القرآنية لإعلاء قيمة اللون ودراسة الجوانب الفنية لدلالات الألوان في القرآن الكريم، فكانت نظرة عابرة وتحتاج إلى تفصيل وبيان، والدراسات المعنية بالألوان في الحديث النبوي الشريف تتبعت مواضع ورود الألوان في الحديث النبوي الشريف وبيان دلالات هذه الألوان إجمالاً وما يرتبط بها من أحكام شرعية وثواب عند الله تعالى، وهي محاولة مجملة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح كما أنها لم تعن بالجانب الدلالي السياقي، وبالجملة فإن دراستنا كانت محاولة للوصول إلى دراسة وافية كافية لدراسة الألوان من ناحية الدلالة السياقية وهي ناحية لم يتطرق إليها من قبل، كما أنها تفتح الباب أمام الدارسين لمواصلة الاستقصاء وتتبع الدلالة السياقية للألوان لإثراء المكتبة العربية.

المبحث الثالث

دلالة الألوان في السياق القرآني

المبحث الثالث: دلالة الألوان في السياق القرآني

تعددت وتنوعت نعم الله سبحانه وتعالى على مخلوقاته تعدد مخلوقاته وتباينها وتمايزها، ولعل في خلق الألوان وتباينها واختلافها ما يبهر العين ويلفت الانتباه إلى عظيم صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعه، فسبحانه وتعالى خلق الطبيعة زاخرة بألوان شتى وأشار إلى ذلك في محكم التنزيل، فقد ورد لفظ اللون مفرداً في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[1] وورد بصيغة الجمع (ألوان) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[6]وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ

---

[1] سورة البقرة آية ٦٩

[2] سورة النحل آية ١٣

[3] سورة النحل آية ٦٩

[4] سورة الروم آية ٢٢

[5] سورة فاطر آية ٢٧

[6] سورة فاطر جزء من آية ٢٨

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾[1] ومن خلال هذا المبحث نتناول الألوان في آيات القرآن الكريم ودلالاتها، ولتكن البداية مع:

المطلب الأول: الألوان الأصلية:

(١) اللون الأبيض

ورد اللون الأبيض في القرآن الكريم في اثنتي عشرة آية، ودلالاته في هذه الآيات ما يلي:

دلالة تحديد وقت الفجر الحقيقي من الوهمي إذا كان في وقت الفجر.

ودلالة بيان وجوه أهل السعادة يوم القيامة.

ودلالة معجزة موسى عليه السلام من ابيضاض يده من غير سوء (البرص).

ودلالة بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد.

ودلالة لون بعض الجبال.

ودلالة وصف مشروبات أهل الجنة.

ودلالة وصف نساء الجنة

وبيان ذلك فيما يلي:

(١) دلالة تحديد وقت الفجر الحقيقي من الوهمي (وضوح النهار من ظلام الليل) قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[2]

---

[1] سورة الزمر جزء من آية ٢١

[2] سورة البقرة جزء من آية ١٨٧

الدلالة السياقية:

ورد اللون الأبيض هنا في سياق بيان وقت الصيام، وقد جاء التعبير بطريق الكناية، فليس المراد حقيقة اللون الأبيض وإنما المراد وضوح نور النهار من ظلام الليل، ومن خلال السياق يتضح ما للون الأبيض من دور مهم في حياة المسلم الصائم، حيث كان علامة على بداية الصيام والإمساك عن المفطرات، ودليلاً على ذهاب الليل ومجيء النهار.

فالتعبير عن الأبيض هنا يقصد به بياض النهار من ظلام الليل، فالخيط الأبيض هنا له دلالة الوضوح من كونه حد فاصل بين الظلمة ووضوح النهار، أي: دلالة برزخية ما بين الوقت المسموح والوقت غير المسموح بين كفتي ميزان الحياة الدنيا ومتطلباتها وما يراد منك باتجاه الآخرة، فالصيام نهاراً هو ما يراد منك تجاه ربك الذي يستلزم منك ألا تجعل مشارك في التوجه والميل إلى جهة الحق تعالى، في حين أجاز لك الحق تعالى أن تكون ميولك في الليل إلى جهة الأغيار واللذات المشروعة.... الخيط الأبيض هنا له دلالة النور الإلهي الذي تتصف به النفس الكاملة، وهو محل ترقي النفس المطمئنة، فإذا ترقت النفس المطمئنة إلى أفق مرتبة النفس الراضية ظهر لها النور الأبيض كعلامة على ترقيها باتجاه الفناء، إن عملية الفناء في النور الأعظم يستوجب عدم

الالتفات إلى غيره، فجاء الصيام ليعد العبد هذا الإعداد تمهيداً لبلوغ مرتبة الكمال. [1]

---

[1] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي لضاري مظهر صالح ص١٠١ ط/دار الزمان بسوريا ط/الأولى سنة ٢٠١٢م

يقول البروسوي في دلالة اللون الأبيض في هذه الآية: " ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ هو أول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود دقيقاً ثم ينتشر ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فإن الصبح الصادق إذا بدا يبدو كأنه خيط ممدود في عرض الأفق، ولا شك أنه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر كأنه خيط أسود في جنب خيط أبيض؛ لأن نور الصبح إنما ينشق في خلال ظلمة الليل، فشبها بخيطين أبيض وأسود ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي انشقاق عمود الصبح بياض للخيط الأبيض واكتفى بيانه عن بيان الأسود لدلالته عليه، والتقدير: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل. " [1]

ويقول ابن عربي: " إن أصل الألوان البياض والسواد وما عداهما من الألوان فبرازخ بينهما تتولد من امتزاج البياض والسواد، فتظهر الغبرة، والحمرة، والخضرة إلى غير ذلك من الألوان، فما قرب للبياض كانت كمية البياض فيه أكثر من كمية السواد، وكذلك في الطرف الآخر. " [2]

(٢) دلالة بيان وجوه أهل السعادة يوم القيامة وفيه موضعان في القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

---

[1] تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي ج١ ص٣٠٠ ط/دار الفكر دون تاريخ

[2] الفتوحات المكية لابن عربي ج٢ ص٣٣٧ تحقيق/أحمد شمس الدين ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]

الدلالة السياقية:

جاءت هاتان الآيتان بعد خطاب الله تعالى أمة الإسلام بالاعتصام بحبله حتى لا يعودوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام والهداية من التفرق والتشرذم والتمزق؛ لتكون لهم القوة والمهابة، ثم بعد ذلك شوقنا إلى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تخرج هاتان الآيتان لتقول لكل مسلم جد واجتهد في الاعتصام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتلقى الله بوجه مضيء مشرق بدلاً من أن تكون أسود الوجه عابس الجبين يوم الدين، وقد تباينت آراء العلماء حول المراد بالأبيض هنا أهو على الحقيقة أم الكناية؟ فمنهم من يرى حقيقة اللون الأبيض فيجعل بياض الوجه علامة لأهل السعادة يعرفون بها، وسواد الوجه علامة لأهل الشقاء يعرفون بها، وليس البياض والسواد في الآيتين لوناً للبشرة كما الحال في الدنيا، وإنما المراد بالبياض النور والبشرى للمؤمنين وبالسواد الظلمة والخزي للكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]، ومن العلماء من يرى أن المراد بالأبيض هنا الكناية وليس البياض الحقيقي، فالمراد ظهور بهجة السرور لأهل السعادة، ومهما يكن من أمر فإنه يجوز حمل اللونين في الآية على

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٦

[2] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٧

[3] سورة الحديد آية ١٢

المعنى الحقيقي والكنائي، ولكني أميل إلى المعنى الحقيقي حيث يجعل بياض الوجه علامة لأهل السعادة يعرفون بها تشريفاً لهم، كما يكون السواد علامة لأهل الشقاء يعرفون بها تحقيراً لهم وتشنيعاً وتنكيلاً عليهم، فالبياض رمزاً للفوز والفخار والنجاة، والسواد رمزاً للخيبة والخسران والهلاك وسوء المنقلب والعار، وقد خص الله تعالى الوجه بالبياض والسواد دون سائر أعضاء الجسد مع أن البياض والسواد يكون لسائر أعضاء الجسد وذلك على طريق المجاز المرسل وعلاقته الجزئية لما للوجه من شرف على سائر الأعضاء، ولأنه أول ما يلقاك من الشخص، ولأن به يكون السرور والبشر كما يكون به الكآبة والخوف، وقد جاء إيثار القرآن صيغة المضارع في (تبيض وتسود) لحكاية حال الناس في ذلك اليوم، ولاستحضار هذه الصورة العجيبة من ابيضاض وجوه واسوداد وجوه في عقل المخاطب مما يوحي بالتشويق والترغيب لفريق والترهيب والتخويف لفريق آخر، في حين جاء الإيثار بصيغة الماضي في (اسودت وابيضت) للدلالة على تحقق الوقوع في البياض والسواد لكلا الفريقين، وهكذا جاء السياق القرآني معبراً عن البياض بالنقاء والسرور للفوز بنعيم الله في الآخرة، وعن السواد بالحزن والكآبة والغم والعذاب في الدنيا والآخرة.

هذه الثنائية تظهر وكأنها نتيجة لسلوك الإنسان في الحياة الدنيا، فمن التزم في حفظ حدود الخيط الأبيض الذي أشره الحق تعالى جاء في النتيجة وهو أبيض الوجه من فرحة اللقاء بنور الحق تعالى، أما من لم يضع لنفسه حداً في المراقبة وسار خلف مشتهيات النفس الأمارة بالسوء، فيجعل الحق سبحانه وتعالى وجهه امتداداً لظلمة نفسه، ذلك لأنهم اختاروا اللذة المحدودة على اللذة المطلقة، هذه الآية تخاطب المؤمنين من أهل العهد الذين لم

يصبروا في الله تعالى وانجروا وراء اللذات الدنيا فجعل تعالى سمة الظلمة سمة واضحة لهم.[١]

إن اختيار الوجه لتنعكس عليه الحالة النفسية من دون غيره من أعضاء الجسم، وإن ابيضاض الوجه عبارة عن تنور وجه القلب بنور الحق للتوجه إليه والإعراض عن الجهة السفلية النفسانية المظلمة، وذلك لا يكون إلا بالتوحيد والاستقامة فيه بتنور النفس أيضاً بنور القلب، فتكون الجملة متنورة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالإقبال على النفس الطالبة حظوظها والإعراض عن الجهة النورية الحقية لمصادقة النفس ومتابعة الهوى في تحصيل لذاتها، وذلك إنما يكون باتباع السبل الشيطانية المتفرقة.[٢]

جاء في التفسير الواضح: " يوم تبيض وجوه المؤمنين وتشرق ويسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وتسود وجوه المختلفين الذين لم يتواصوا بالحق والصبر من أهل الكتاب والمنافقين، وتظلم وتكتئب حينما يرون ما أعد لهم من العذاب المقيم. " [٣]

ويقول السمرقندي: " يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكفار مسودة، ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه حسنات استبشر وابيض وجهه وإذا قرأ

---

[١] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص١٠٢

[٢] المرجع السابق ص١٠٢ نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي

[٣] التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي ج١ ص٢٦٣ ط/دار الجيل الجديد ببيروت ط/العاشرة سنة ١٤١٣هـ

الكافر والمنافق كتابه فرأى في كتابه سيئات اسود وجهه، ويقال إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ابيض وجهه وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه."[١]

ويقول أبو زهرة: " والتعبير عن الحق بالبياض، وعن الباطل بالسواد، مجاز عربي مشهور،

كوصف الحق بأنه نور، ووصف الباطل بأنه ظلام، ووصف الوجوه بالبياض مجاز عن إشراق القلوب بالمعرفة، وامتلائها بالنور؛ ووصف الوجوه بالسواد مجاز من إظلام القلوب، وانطفاء نورها."[٢]

ولقد قال الزمخشري في تحقيق هذا المعنى اللغوي: " البياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وُسِم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته، وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وُسِم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمة الباطل وأهله. " [٣]

---

[١] بحر العلوم للسمرقندي ج١ ص٢٦١ تحقيق/محمود مطرجي ط/دار الفكر ببيروت دون تاريخ

[٢] زهرة التفاسير لأبي زهرة ج٣ ص١٣٥٠ ط/دار الفكر العربي دون تاريخ

[٣] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج١ ص٤٢٧ تحقيق/عبد الرزاق المهدي ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت دون تاريخ

(٣) دلالة معجزة موسى عليه السلام من ابيضاض يده من غير سوء وفيه خمسة مواضع في القرآن الكريم فقد قال تعالى:﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[٣]

وقال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[٥]

الدلالة السياقية:

جاء اللون الأبيض في هذه الآيات الخمس مفرداً مؤنثاً على وزن (فعلاء) والموصوف به في الدنيا، والسياق الذي ورد فيه اللون الأبيض هنا بيان قدرة الله الباهرة في تأييده لموسى عليه السلام وتنزيهه من الأمراض والآفات، وقد ورد اللون الأبيض هنا مراداً به اللون الحقيقي وصفاً ليد موسى عليه السلام الحقيقية في سياق الأمر الإلهي (وأدخل، اسلك، واضمم) وحدوث النزع قد تعلق باليد الحقيقية والموصوفة بالبياض الحقيقي وذلك لأن

---

[١] سورة الأعراف جزء من آية ١٠٨

[٢] سورة الشعراء آية ٣٣

[٣] سورة النمل آية ١٢

[٤] سورة القصص جزء من آية ٣٢

[٥] سورة طه جزء من آية ٢٢

الأمر متعلق بالمعجزة فلابد وأن تقوم على الحقائق المقررة حتى تكون أشد إفحاماً للخصم، وقد جاء اللون الأبيض في هذه الآيات موحياً بالصفاء والنقاء والطهارة وسطوع الحجة.

لقد كان للون الأبيض في الآيات الخمس أثر في الآخرين بوصفه معجزة خارقة، وكان الأثر النفسي للبياض هو دليل قاطع على صدق النبوة وترسيخ هذه الحقيقة في عقول مشاهدي هذه اليد البيضاء، ولما كان اللون الأبيض على مر العصور يمثل النقاء والصفاء والصدق والأمانة والسلام والخير بشكل عام، فقد عبر عن كل ذلك باختيار الخالق جل وعلا لهذا اللون في هذه الحادثة ليوحي إلى قوم فرعون أنه صادق، وتتمثل فيه كل صفات الخير، فضلاً عما في ذلك من الإعجاز الذي جاء متناسباً مع ما كان سائداً عندهم وهو السحر، فقد غلب بهذه المعجزة كل سحرهم. [١]

يقول الزمخشري: " والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب، وذلك ما يروى: أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ قال: يدك، ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها، فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة."[٢]

---

[١] التدبيج في القرآن الكريم لعبد القادر عبد الله فتحي الحمداني بحث منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد ١١ العدد ٢ ص١٦٧، ١٦٨

[٢] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/ ١٣٠

ويقول أبو زهرة: " ويظهر أنه لم تكن يده في أصل خلقته بيضاء ناصعة البياض، فتغير لونها مفاجأة إلى ناصعة يعد معجزة حسية في ذاتها، وهي تومئ إلى أن يده ستكون مقدم خير على بني إسرائيل، وعلى مصر، إذ تكون قاضية على طغيان فرعون. " [1]

ويقول الشعراوي: " ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾، وهذا يدل على أن يده لها وضع، ونزع يده وإخراجها بشدة له

وضع آخر، كأنها كانت في مكان حريص عليها. إذن ففيه لقطة بينت الإدخال، ولقطة بينت النزع، وهما عمليتان اثنتان. وقال سبحانه في آية ثانية: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[2] و«الجيب» هو مكان دخول الرأس من الثوب، وإن كنا نسمي «الجيب» في أيامنا مطلق شيء نجعله وعاء لما نحب، وكان الأصل أن الإنسان حين يريد أن يحتفظ بشيء، يضعه في مكان أمامه وتحت يده، ثم صنع الناس الجيوب في الملابس، فسميت الجيوب جيوباً لهذا. والحق قال في موضع آخر: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[3] إذن ففيه إدخال وإخراج، وكل آية جاءت بلقطة من اللقطات؛ فآية أوضحت دخول اليد في الجيب، وأخرى أوضحت ضم اليد إلى الجناح، وثالثة أوضحت نزع اليد، وهذه لقطات متعددة، تكوّن كلها الصورة الكاملة؛ لنفهم أن القصص في القرآن غير مكرَّر، فالتكرير قد يكون في الجملة. لكن كل تكرير له لقطة

---

[1] زهرة التفاسير ١٠/٥٣٥٠

[2] سورة النمل آية ١٢

[3] سورة طه جزء من آية ٢٢

تأسيسية، وحين نستعرضه نتبين أركان القصة كاملة. فكل هذه اللقطات تجمَّع لنا القصة. " [١]

وفي التفسير الوسيط: " ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[٢] النزع: إخراج الشيء من مكانه. أي: وأخرج موسى يده من درعه بعد أن أدخلها فيه أو من طوق قميصه، أو من إبطه فإذا هي بيضاء بياضاً عجيباً خارقاً للعادة من غير أن يكون بها علة من مرض أو غيره. قيل: إنه كان لها شعاع يغلب ضوء الشمس. " [٣]

فنزع يده: أي أظهر حقيقتها النورانية من كونها تعكس حقيقة الصلة التي تجمع بينه وبين نور الحق تعالى، وكأن الحال يعكس الامتداد الإلهي الذي ينبغي أن يكون عليه كل عبد، فالنور الأبيض وإن كان ذا طابع سحري غير أنه في الوقت نفسه يحرض المتلقي على الكشف عن هذا المعنى الظاهر للعيان، إذ ليس من السهل أن يتمكن كل فرد من إظهار هكذا معجزة أو كرامة إلا من منَّ الله عليه واصطفاه وقربه. فاللون الأبيض له دلالة التحريض إلى جهة النور الأعظم، وهي

جهة الاطمئنان الذي يخرج المرء من الشقاء الدائم.[٤]

---

[١] تفسير الشعراوي (الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي ج٧ ص٤٢٨٣ ط/مطابع أخبار اليوم سنة ١٩٩٧م

[٢] سورة الأعراف جزء من آية ١٠٨

[٣] التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج٥ ص٣٤٦ ط/دار نهضة مصر بالفجالة ط/الأولى سنة ١٩٩٧م

[٤] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص١٠٥

(٤) دلالـة بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد فقد قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١]

الدلالة السياقية:

يأتي اللون الأبيض في هذه الآية ليدل على محق إبصار العين حتى صارت بيضاء لا أثر لسواد القرنية بها، وورد بصيغة (ابيضت) على وزن (افعلت) وقد كشفت الآية عن حال سيدنا يعقوب عليه السلام وما أصابه من الحزن والتحسر على فقد يوسف، ومن خلال سياق الآية يتبين أن اللون الأبيض على حقيقته، فالمراد ببياض العين محق سوادها من كثرة الحزن، ومن العلماء من يرى أن اللون الأبيض في الآية ليس على حقيقته وإنما هو كناية على عدم الإبصار، والحزن هو سبب عدم الإبصار فتوالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عمل عصب الإبصار، وأرى أنه لا مانع من الاحتمالين ففي السياق إشارة إلى ذلك، فالبياض الحقيقي للعين دليل على عدم الإبصار وعلى العمى.

هكذا كانت دلالة اللون الأبيض هنا على الحزن، فقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن شدة الحزن بابيضاض العين، كما أن الأسف هو شدة الحزن، فدلالة الآية على شدة الحزن لفقد يوسف عليه السلام، فاللون الأبيض جاء على غير معناه المتداول بأنه لون جميل يصور البهجة والبشرى؛ ليتناغم مع السياق والمقام حيث الأحزان والآلام، فهو هنا صور حزينة باكية مكانها عينا يعقوب عليه السلام، ولاسيما أن الفعل (ابيضت) قد

[١] سورة يوسف آية ٨٤

أسند إلى العينين على سبيل المجاز العقلي الذي يوحي بأن يعقوب عليه السلام بعد فقده لبنيه تمنى ألا ترى عيناه أحداً بعد أن حرمت رؤية بنيه، وعليه فإن اللون الأبيض في الآية بدلالتيه الحقيقية والمجازية قد تآزر مع السياق لإبراز حالة الحزن والتحسر من سيدنا يعقوب على فراق يوسف عليه السلام.

لقد ابتلى الحق تعالى يعقوب عليه السلام بفراق ابنه، وكان من جراء تعلقه به ابيضاض عينيه نتيجة الحزن، ولما كان التعلق يجري في غير الحق، ولم يكن بالحق تعالى فقد أحال تعالى علاج العينين إلى يوسف عليه السلام، وكأن في هذا إشارة إلى أن تعلق يوسف بالحق كان أكبر من تعلق أبيه، ولذلك فقد أعطي معجزة الشفاء لعمى أبيه ليشعر يعقوب عليه السلام إلى ضرورة العودة إلى التعلق بالحق تعالى، ولا يحتجب بحبه بغير الحق تعالى وكفى يعقوب إشارة أن علاجه جرى بكرامة قميص ابنه في حين أن الحق تعالى أقرب إليه من حبل الوريد، إن ابيضاض العينين له دلالة غيرة الحق على عبده. [1]

يقول القشيري: " ويقال كان بكاء داود عليه السلام أكثر من بكاء يعقوب عليه السلام، فلم يذهب بصر داود وذهب بصر يعقوب لأن يعقوب عليه السلام بكى لأجل يوسف ولم يكن في قدرة يوسف أن يحفظ بصره من البكاء لأجله، وأما داود فقد كان يبكي لله، وفى قدرة الله سبحانه ما يحفظ بصر الباكي لأجله.

[1] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص١٠٩

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ـ رحمه الله ـ يقول ذلك، وقال رحمه الله: إن يعقوب بكى لأجل مخلوق فذهب بصره، وداود بكى لأجل الله فبقي بصره.

وسمعته ـ رحمه الله ـ يقول: لم يقل الله: {عمى يعقوب} ولكن قال: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾، لأنه لم يكن في الحقيقة عمى، وإنما كان حجاباً عن رؤية غير يوسف، ويقال: كان ذهاب بصر يعقوب حتى لا يحتاج إلى أن يرى غير يوسف، لأنه لا شيء أشد على الأحباب من رؤية غير المحبوب في حال فراقه. " [١]

ويقول الشوكاني: " ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾[٢] أي انقلب سواد عينيه بياضاً من كثرة البكاء، قيل: إنه زال إدراكه بحاسة البصر بالمرة، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، وقد قيل في توجيه ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا الحزن العظيم المفضي إلى ذهاب بصره كلاً أو بعضاً بأنه إنما وقع منه ذلك لأنه علم أن يوسف حي فخاف على دينه مع كونه بأرض مصر وأهلها حينئذ كفار، وقيل: إن مجرد الحزن ليس بمحرم وإنما المحرم ما يفضي منه إلى الوله وشق الثياب والتكلم بما لا ينبغي. " [٣]

ويقول الشعراوي: " ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي: أن دموع يعقوب كثُرتْ حتى بَدا الجزء الأسود في العين وكأنه أبيض. أو: ابيضتْ عيناه من فَرْط حُزنه،

---

[١] لطائف الإشارات للقشيري ج٢ ص١٩٩ تحقيق/إبراهيم البسيوني ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/الثالثة دون تاريخ

[٢] سورة يوسف آية ٨٤

[٣] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ج٣ ص٥٧ ط/دار ابن كثير بدمشق ودار الكلم الطيب ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٤هـ

الذي لا يبثُّه لأحد ويكظمه. وهو قد يكظم غيظه من كل ما حدث، أما الانفعالات فلا أحد بقادر على أن يتحكم فيها. "[1]

(٥) دلالة لون بعض الجبال فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[2]

الدلالة السياقية:

في هذه الآية أخبر الله سبحانه عن جدد الجبال وهي طرائقها أو الخطوط التي فيها بأن لون بعضها البياض ولون بعضها الحمرة كما أن فيها الغرابيب السود، والغربيب الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب، فالمراد اللون الأبيض الحقيقي بدلالة قوله تعالى بعدها (مختلف ألوانها) وللون الأبيض هنا دلالة خاصة، فقد وصف الحق سبحانه وتعالى الجدد وهي الطرق بالبياض لأن هذا الطريق يتبنى الجوع وعدم الشبع كوسيلة لمخالفة هوى النفس؛ ذلك لأن الشبع يعد أهم الحاجات التي تطلبها النفس، كما أنه يساعد على النوم، وفي الآية التدبيج وهو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد التورية بها والكناية، فالمراد بذلك الكناية عن الواضح من الطرق، لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً، وهى أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء، كأنها في الخفاء والالتباس، ضد البيضاء في الظهور والوضوح. ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة، فالطرف الأعلى في الظهور البيضاء، والطرف الأدنى في الخفاء السواد، والأحمر بينهما، على وضع الألوان في

---

[1] تفسير الشعراوي (الخواطر) ١١/ ٧٠٤٧

[2] سورة فاطر جزء من آية ٢٧

التركيب، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة، والهداية بكل علم نصب للهداية متقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك، فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم. [١]

جاء في التحرير والتنوير: " و﴿جُدَدٌ﴾: جمع جدة بضم الجيم، وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه. يقال للخطة السوداء التي على ظهر الحمار جدة، وللظبي جدتان مسكيتا اللون تفصلان بين لوني ظهره وبطنه، والجدد البيض التي في الجبال هي ما كانت صخوراً بيضاء مثل المروة، أو كانت تقرب من البياض فإن من التراب ما يصبر في لون الأهصب فيقال: تراب أبيض، ولا يعنون أنه أبيض كالجير والجص بل يعنون أنه مخالف لغالب ألوان التراب، والجدد الحمر هي ذات الحجارة الحمراء في الجبال.

و﴿غَرَابِيبُ﴾: جمع غربيب، والغربيب: اسم الشيء الأسود الحالك سواده، ولا تعرف له مادة مشتق هو منها، وأحسب أنه مأخوذ من الجامد، وهو الغراب لشهرة الغراب بالسواد. " [٢]

وفي أضواء البيان: " واختلاف الألوان المذكورة من غرائب صنعه تعالى وعجائبه، ومن البراهين القاطعة على أنه هو المؤثر جل وعلا، وأن إسناد التأثير للطبيعة من أعظم الكفر والضلال. " [٣]

---

[١] الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري ج٢ ص٢٦٤ ط/مؤسسة سجل العرب سنة ١٤٠٥هـ

[٢] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ج٢٢ ص١٥٦ ط/مؤسسة التاريخ العربي ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ج٦ ص١٧٣ ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

(٦) دلالــة وصـف مشـروبات أهـل الجنــة فقد قـال تعـالى: ﴿بَيْضَـاء لَـذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[١]

الدلالة السياقية:

ورد اللون الأبيض في هذه الآية الفريدة في القرآن الكريم في سياق تعداد نعيم أهل الجنة وقد جاء بصيغة (بيضاء) على وزن (فعلاء) ويجوز أن يكون وصفاً للخمر أو الكأس معاً؛ وذلك من شدة النقاء والصفاء صارت الكأس خمراً والخمر كأساً، وذلك زيادة في التنعم، وتحريك للنفس البشرية إلى السباق والمسارعة إلى هذا النعيم؛ ولذا فقد أدى اللون الأبيض هنا للخمر والكأس دوراً مهماً في إبراز تمييز خمر الآخرة عن خمر الدنيا، كما أبرز نوعاً من النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة.

فاللون الأبيض هنا له دلالة الصفاء الكامل من الأعراض الجانبية فهو يدل على النقاء والصفاء مما يبعث في النفس الطمأنينة وراحة البال، فخمر الجنة بيضاء صافية، وهي ببياضها وصفائها تلذّ الناظر إليها، وتملأ عينه بهجة وحبوراً، ليس فيها ما يضر ويؤذي، وهي أبيض من الحليب صفاءً، وألذ من العسل المصفى طعماً، وهي ليست كخمر الدنيا التي تبعث في النفس الاشمئزاز والنفور ولذا لونها وصف بالصفرة أو الحمرة وهي ألوان تناسب حال كل خمر في الدنيا، فالخمر في الآخرة للنعيم، وفي الدنيا للشقاء والعناء.

فقد وصف الحق سبحانه وتعالى شراب أهل الجنة (الخمر) فهي عبارة عن لذة يجتمع فيها من اللذات الشيء الكثير، تماماً مثلما النور

---

[١] سورة الصافات آية ٤٦

الأبيض من الأنوار الجامعة لألوان الطيف الشمسي وسواها من الألوان، ففيها لذة لا يمكن أن توصف إلا من خلال المعرفة الذوقية، فلن يستطيع أحد وصفها لآخر لم يجرب معطيات ذوقها بعد، وحين يصفها تعالى لنا بقوله: ﴿بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[1] فإنه يدعونا للفوز بها إذا كنا ممن يطلبون اللذة في عالم الجنان. والبياض يراد به اللذة الجامعة لمذاقات متعددة من الصعب وصفها أو الإحاطة بكنهها الذوقي، وهذا القول فيه شيء من التحريض لنا لأن نجتهد ونجد من أجل الوصول إلى تحصيل هذا المذاق الجميل، فالبياض يدل على صفاء المذاق من الطعم الذي قد يعكر من المذاق كما هو الحال في المطعومات التي نتناولها في هذه الدنيا كأن يكون فيها زيادة من الملوحة أو الحلاوة أو ما شابه ذلك والله أعلم. [2]

قال الحسن: (خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن، ليست هي على لون خمر الدنيا، ولكنها بيضاء لرقتها ونورها ورونقها وصفائها) [3]

ويقول صديق حسن خان: " والمعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا غضاضة ولم تدنسها الأرجل بالدوس: ولا الأيدي بالعصر، وليس في

---

[1] سورة الصافات آية ٤٦

[2] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص١١١

[3] معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) للبغوي ج٧ ص٤٠ تحقيق/محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ط/دار طيبة للطبع والنشر ط/الرابعة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار ولا آفة من آفات الخمر، بل هي لمجرد الالتذاذ وتفريح الطبع فقط، تعويضاً بخمور الدنيا. " [١]

ويقول المراغي: " أي لونها مشرق حسن بهيّ لا كخمر الدنيا ذات المنظر البشع، واللون الأسود أو الأصفر، أو الذي فيه كدورة إلى نحو ذلك مما ينفّر الطبع السليم، وهي لذيذة الطعم كما هي طيبة اللون وطيبة الريح، وقد وصفوا خمر الدنيا بالصفرة. " [٢]

(٧) دلالة وصف نساء الجنة فقد قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٣]

الدلالة السياقية:

في هذه الآية الفريدة في القرآن الكريم وصف نساء الجنة بأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء.

يقول الطبري: " ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٤] اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القِشْر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء... وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبه

---

[١] فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ج١٣ ص٦٠ ط/المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

[٢] تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ج٢٣ ص٥٧ ط/مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م

[٣] سورة الصافات آية ٤٩

[٤] سورة الصافات آية ٤٩

بياضـهن فـي الصـفرة بـذلك... وقـال آخـرون: بـل عنـى بـالبيض فـي هـذا الموضـع: اللؤلؤ، وبـه شبهن في بياضـه وصفائه.... وأولـى الأقوال في ذلك بالصـواب عنـدي قـول من قـال: شبهن فـي بياضـهن، وأنهن لـم يمسـهن قبـل أزواجهـن إنـس ولا جـان ببيـاض البـيض الـذي هـو داخـل القشـر، وذلـك هـو الجلـدة المُلْبَسـة المُـح قبـل أن تمسـه يـد أو شـيء غيرهـا، وذلـك لا شـك هـو المكنـون، فأمـا القشـرة العليـا فـإن الطـائر يمسـها، والأيـدي تباشـرها، والعـش يلقاها. والعرب تقول لكل مصـون مكنـون مـا كـان ذلك الشـيء لؤلؤاً كـان أو بيضاً أو متاعاً. " [1]

ويقـول الواحـدي: " مصـون مسـتور، قـال الحسـن، وابـن زيـد: شـبهن ببـيض النعام، تكنها بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة، وهذا أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة. قال المبرد: والعرب تشبه المرأة الناعمة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة."[2]

الدلالـة السـياقية للـون الأبـيض: تتنـوع دلالات اللـون الأبـيض فـي الآيـات القرآنيـة السـابقة، فاللون الأبيض لـه دلالـة الوضـوح من كونـه حد فاصـل بين الظلمـة ووضـوح النهـار، واللـون الأبـيض فـي وجـوه أهـل الجنـة دلـيلاً علـى السرور والبهجـة والنعيم، واللون الأبيض في يـد موسـى عليـه السـلام معجزة ودليلاً علـى نبوتـه، واللون الأبيض في عين يعقوب عليـه السـلام دليلاً علـى شدة الحزن، واللون الأبيض في كأس أهل الجنـة دليلاً علـى الصفاء الكامل

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج٢١ ص٤١ـ ٤٣ تحقيق/أحمد محمد شاكر ط/الرسالة ببيروت سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ج٣ ص٥٢٥ تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

والنقاء مما يبعث على النفس الطمأنينة وراحة البال، واللون الأبيض في نساء الجنة دليلاً على الجمال الذي لا يضاهيه جمال والذي يوحي بالنعيم الذي لا يماثله نعيم، فاللون الأبيض وإن كان واحداً فدلالته متعددة ومتغيرة حسب المنظور النفسي للرائي.

(٢)اللون الأسود

ورد اللون الأسود في القرآن الكريم بمشتقاته ثماني مرات في سبع آيات، ودلالاته في هذه الآيات ما يلي:

دلالة ظلمة الليل

دلالة لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله

دلالة الكرب والحزن والهم

دلالة لون بعض الجبال

وبيان ذلك فيما يلي:

(١) دلالة ظلمة الليل فقد قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[١]

الدلالة السياقية:

أشرنا إلى هذه الآية عند حديثنا عن اللون الأبيض، فالمعنى: كلوا واشربوا حتى يظهر لكم نور الفجر المعترض في الجو مع ظلام الليل فهو أشبه بالخيط الأبيض مع الخيط الأسود، ولا تحمل الآية على ظاهرها فيكون

[١] سورة البقرة جزء من آية ١٨٧

المراد خيطاً أبيضاً وخيطاً أسوداً، وإنما المراد وضوح النهار من ظلمة الليل، فقد جاء التعبير القرآني عن اللون الأسود بطريق الكناية عن ظلمة الليل، وليس المراد اللون الأسود الحقيقي، وقد أدى اللون الأسود والأبيض معاً دوراً مهماً في حياة المسلم الصائم كبداية على الإمساك للصائم ودليلاً على ذهاب الليل ومجيء النهار.

(٢) دلالة لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1]

الدلالة السياقية:

سبق الحديث عن لون وجوه الطائعين البيضاء، وأما من تسود وجوههم فهم الأشقياء الذين لم يتواصوا بالحق والصبر من أهل الكتاب والمنافقين، وتظلم وتكتئب وجوههم حينما يرون ما أعد لهم من العذاب المقيم، فدلالة السواد هنا دلالة حسرة وندامة وخزي ومذلة لما عاينوا من ألوان العذاب فتطابق لون وجوههم نوع العذاب الذي أعد لهم، كما تطابق لون وجوه الطائعين نوع النعيم الذي ينتظرهم، وسبق وأن أشرنا إلى اختلاف العلماء حول حقيقة اللونين في الآية أهما على سبيل الحقيقة أم الكناية، ونميل إلى جعلهما على سبيل الحقيقة حيث يجعل بياض الوجه علامة لأهل السعادة يعرفون بها، كما يجعل سواد الوجه علامة لأهل الشقاء يعرفون بها، فوجوه الذين كذبوا على الله مسودة لما يظهر عليها من آثار الذل والندامة والكرب والحزن ولما آلوا إليه من نكد وشقاء؛ وذلك لما أحاط بهم من

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٦

العذاب، وما شاهدوه من غضب الله ونقمته، وكأن الله يشير إلى أن يوم القيامة تكون الوجوه بلون القلوب، فالقلوب الكاذبة لما كانت مسودة بسواد الكذب، وظلمة الكفر تلونت وجوههم بلون القلوب.

يقول القشيري: " فأمّا الذين ابيضت وجوههم ففي أنس وروح، وأما الذين اسودّت وجوههم ففي محن ونوح. " [١]

ويقول البيضاوي: " وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه، وقيل: يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك. " [٢]

وفي تفسير الخازن: " وفي بياض الوجوه وسوادها قولان: أحدهما: إن البياض كناية عن الفرح

والسرور السواد كناية عن الغم والحزن، وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيضّ وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه وأريد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾[٣] يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها , وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله.

---

[١] لطائف الإشارات ١/ ٢٦٩

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٢ ص٧٧ ط/دار الفكر ببيروت دون تاريخ

[٣] سورة النحل جزء من آية ٥٨

وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نوراً ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة. " [١]

وعلى نفس النسق والدلالة جاء قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢]

يقول المراغي: " أي وترى أيها الرسول يوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله، فزعموا أن له ولدا وأن له شريكاً وعبدوا آلهة من دونه مجلّلة بالسواد، لما أحاط بها من الكآبة والحزن الذي علاها، والغم الذي لحقها. " [٣]

وفي التفسير القرآني: " واسوداد الوجوه، كناية عن الكرب العظيم الذي أحاط بهؤلاء الكافرين، إذ كانت الوجوه هي الصفحة التي يبدو عليها ما يجرى في

---

[١] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ج١ ص٤٠١ ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

[٢] سورة الزمر آية ٦٠

[٣] تفسير المراغي ٢٤/ ٢٦

كيان الإنسان، من مشاعر وعواطف وأحاسيس، سواء أكان في حال نعيم، ومسرة ورضوان، أم كان في حال بلاء، ونكد، وشقاء!. " [١]

ويقول أبو بكر الجزائري: " وجوههم مسودة: أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم. " [٢]

(٣) دلالة الكرب والحزن والهم وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٤]

الدلالة السياقية:

وردت آية النحل في سياق الحديث عن عادات الجاهلية المنكرة من بغضهم للبنات وإذا علم أحدهم بولادة الأنثى ازداد غمه وحزنه، كذلك كان من عاداتهم ظلم المرأة وكأن ولادة الذكور باختيارها وهذا من جاهليتهم الجهلاء، فقد كانوا في الجاهلية إذا بشر أحدهم بالبنت ظل وجهه مسوداً، وظل كئيباً حزيناً كاسف البال لأنه بشر بولادة أنثى، ويظل في حيرة من أمره أيمسك المولود الأنثى على هوان وذل وعار وفقر أم يدسه في التراب؟ وكانوا يصنعون ذلك في الجاهلية، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون أن يجعلوه

---

[١] التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ج١٢ ص١١٨٥، ١١٨٦ ط/دار الفكر العربي بالقاهرة دون تاريخ

[٢] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٤ ص٥٠٣ ط/مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط/الخامسة سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

[٣] سورة النحل آية ٥٨

[٤] سورة الزخرف آية ١٧

لأنفسهم يجعلونه لله؟!! وهكذا فإن السياق يرسم صورة منكرة لعادات الجاهلية، وهي صورة اسوداد الوجه من الهم والحزن والضيق وكظم الغيظ من ولادة الأنثى، وهي هبة من الله كالذكر.

وتأتي آية الزخرف في سياق الإنكار على المشركين عبادة الملائكة، وإبطال أنها بنات الله، في حين أنهم يستنكفون من ولادة البنات لهم، بل ويسود وجه أحدهم من السوء والغم إذا ما بشر بولادة الأنثى له، فقد كان سياق الآية مبيناً لحال أحدهم إذا قيل له: قد ولدت لك بنت اغتم وتأسف وامتلأ غيظاً وكرباً، فقد جاء اسوداد الوجه في الآيتين بطريق الكناية عن الغم والحزن والكرب والغيظ، وليس المراد بالسواد المعنى الحقيقي، فالعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسود وجهه.

يقول السمرقندي: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ أي صار وجهه متغيراً من الحزن والخجل {وَهُوَ كَظِيمٌ} أي مكروباً مغموماً من الحزن يتردد حزنه في جوفه."[1]

ويقول الواحدي: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ تغير وجهه تغير مغتم، قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب، أخبر الله بخبث صنيعهم، فأما المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله للمرء خير مما قضى المرء لنفسه، وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاتق الله، وارض بقضائه، فإنه رب جارية خير لأهلها من غلام، ورب غلام لا يأتي أهله بخير، وقوله: وهو كظيم أي: ممتلئ غما. " [2]

---

[1] بحر العلوم ٢٧٨/٢

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦٧/٣

ويقول ابن عطية: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ عبارة عن العبوس والتقطيب الذي يلحق المغموم، وقد يعلو وجه المغموم سواد وربدة وتذهب شراقته، فلذلك يذكر له السواد، وكَظِيمٌ بمعنى كاظم كعليم وعالم، والمعنى أنه يخفي وجده وهمه بالأنثى. " [١]

ويقول الرازي: " البياض والسواد والغبرة والقترة والنضرة للمفسرين قولان: أحدهما: أن البياض مجاز عن الفرح والسرور والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٢] ويقال: لفلان عندي يد بيضاء، أي: جلية سارة، ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر لمعاوية قال له بعضهم يا مسود وجوه المؤمنين... وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه، ومعناه الاستبشار والتهلل، وعند التهنئة بالسرور يقولون: الحمد لله الذي بيض وجهك، ويقال لمن وصل إليه مكروه إربد وجهه واغبر لونه وتبدلت صورته .... والقول الثاني: إن هذا البياض والسواد يحصلان في وجوه المؤمنين والكافرين وذلك لأن اللفظ حقيقة فيهما ولا دليل يوجب ترك الحقيقة فوجب المصير إليه."[٣]

---

[١] المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج٣ ص٤٠١، ٤٠٢ تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ

[٢] سورة النحل آية ٥٨

[٣] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي ج٨ ص١٤٨، ١٤٩ ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ

وفي تفسير الخازن: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ يعني متغيراً من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة، والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت الأنثى أن تنسب إليه فكيف يرضي أن ينسبها إلى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يعني أنه ظل ممتلئاً غماً وحزناً يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به. " [١]

ويقول الشوكاني: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ أي متغيراً وليس المراد السواد الذي هو ضد البياض بل المراد الكناية بالسواد عن الانكسار والتغير بما يحصل من الغم، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسود وجهه غماً وحزناً قاله الزجاج، وقال الماوردي: بل المراد سواد اللون حقيقة، قال: وهو قول الجمهور، والأول أولى فإن المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه إلا مجرد التغير وظهور الكآبة والانكسار لا السواد الحقيقي. " [٢]

وفي زهرة التفاسير: " ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ أي صار ودام وجهه مسوداً، وذلك كناية عن الحزن والكمد والغيظ، فكان حال الوجه المكفهر تشبه بحال الوجه الأسود، للقتامة، فالبؤس يوجد سواداً في القلب."[٣]

فدلالة السواد في الآية الكريمة على الكآبة والحزن والغم، وصار الجسد ممتلئاً بالحزن المكتوم، والغيظ المحبوس، وأصبح صاحبه يتوارى

---

[١] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٩٦

[٢] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٣/ ٢٠٤

[٣] زهرة التفاسير ٨/ ٤١٩٩

ويتخفى عن أعين الناس خجلاً وحياء، من أجل أن زوجته ولدت له أنثى ولم تلد له ذكراً.

(٤) دلالة لون بعض الجبال وتقدم فيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1]

الدلالة السياقية

في الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، والغرابيب هو الشديد السواد أو هو الأسود المتناهي في السواد يشبّهها بلون الغراب، أوهي الجبال ذات الصُّخور السُّود، يقال: أسود غربيب وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب، وهنا تظهر قدرة الله وإبداعه في هذا الجماد الجامد، واختلاف الألوان المذكورة من غرائب صنعه تعالى وعجائبه، ومن البراهين القاطعة على أنه هو المؤثر جل وعلا، وأن إسناد التأثير للطبيعة من أعظم الكفر والضلال، فالمراد اللون الأسود الحقيقي بدلالة قوله تعالى بعدها (مختلف ألوانها).

الدلالة السياقية للون الأسود: تتنوع دلالات اللون الأسود في الآيات القرآنية السابقة، فاللون الأسود له دلالة ظلمة الليل، ودلالة لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله دلالة حسرة وندامة وخزي ومذلة لما عاينوا من ألوان العذاب فتطابق لون وجوههم نوع العذاب الذي أعد لهم، ودلالة الكرب والحزن والهم والكآبة والغم، حتى صار الجسد ممتلئاً بالحزن المكتوم، والغيظ المحبوس، وأصبح صاحبه يتوارى ويتخفى عن أعين الناس

[1] سورة فاطر آية ٢٧

خجلاً وحياء، من أجل أن زوجته ولدت له أنثى ولم تلد له ذكراً، وأخيراً دلالة لون بعض الجبال، ففي الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، والغرابيب هو الشديد السواد أو هو الأسود المتناهي في السواد يشبّهها بلون الغراب، فاللون الأسود وإن كان واحداً فدلالته متعددة ومتغيرة حسب المنظور النفسي للرائي.

وبالجملة فالسواد يبرز في هذه الآيات القرآنية وكأنه لون الدنيا، لأنه حصيلة جمع الألوان الظاهرة في الوجود، وهو لون مضاد للون الحقيقة البيضاء، فمن أراد الوقوف مع الدنيا كمن طلب السواد والظلمة، ومن أراد الحق تعالى كمن طلب البياض، وإن عليه تقع مسئولية البحث عن الوسيلة التي تصل به إلى البياض. [١]

(٣) اللون الأخضر

ورد اللون الأخضر في القرآن الكريم بمشتقاته ثماني مرات، وقد توزع على النبات، والأرض، والحيوان، واللباس، أما توزيعه على النبات مسبب عن المطر الذي خضر النبات به، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]

---

[١] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص٢٠٩

[٢] سورة الأنعام آية ٩٩

الدلالة السياقية

ورد اللون الأخضر هنا ليدل على الخصوبة والنماء والرطوبة والحياة متمثلاً في لون ثمار الزروع، وتنبيه الناس للتدبر والاعتبار في آيات الله، وبدائع صنعه في الكون، ويرسم سياق الآية مشهداً من مشاهد الحياة المتفتحة في جنبات الأرض تراها الأعين وتستجليها الحواس، وتدبرها القلوب، وترى فيها بديع صنع الله وقدرته التي تبدع الحياة، كما يوجه السياق القلب إلى استجلاء الجمال في هذا الكون والاستمتاع به، فاللون الأخضر هنا المراد به اللون الحقيقي للزروع، وهو علامة للخصب والنماء.

يقول الزمخشري: " ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت كل صنف من أصناف النامي، يعني أن السبب واحد وهو الماء. والمسببات صنوف مفتنة، كما قال: ﴿يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾[1] ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات ﴿خَضِراً﴾ شيئاً غضاً أخضر. يقال أخضر وخضر، كأعور وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة. " [2]

ويقول الفخر الرازي: " وقال الليث: الخضر في كتاب الله هو الزرع، وفي الكلام كل نبات من الخضر، وأقول: إنه تعالى حصر النبت في الآية المتقدمة في قسمين حيث قال ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[3] فالذي ينبت من الحب هو الزرع، والذي ينبت من النوى هو الشجر، فاعتبر هذه القسمة

---

[1] سورة الرعد جزء من آية ٤

[2] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/ ٤٩

[3] سورة الأنعام جزء من آية ٩٥

أيضاً في هذه الآية، فابتدأ بذكر الزرع وهو المراد بقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾ وهو الزرع كما رويناه عن الليث، وقال ابن عباس: يريد القمح والشعير والسلت والذرة والأرز والمراد من هذا الخضر العود الأخضر الذي يخرج أولاً ويكون السنبل في أعلاه."[١]

ويقول الألوسي: " وجعل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾ شروعاً في تفصيل ما أجمل من الإخراج، وقد بدأ بتفصيل حال النجم وضمير منه للنبات، والخضر بمعنى الأخضر كأعور وعور، وأكثر ما يستعمل الخضر فيما تكون خضرته خلقية، وأصل الخضرة لون بين البياض والسواد وهو الى السواد أقرب ولذا يسمى الأخضر أسود وبالعكس، والمعنى: فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئاً غضاً أخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة. " [٢]

وفي التفسير القرآني: " وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾أي نباتاً ذا خضرة، حيث الخضرة هي الروح السارية في حياة النبات، وبغير تلك الخضرة لا ينبض فيه عرق الحياة أبدا. " [٣]

ويقول الشعراوي: " وإذا قلت كلمة «خَضِر» فقد تعني اللون المعروف لنا وهو الأخضر، لكن «خضر» فيها وصف زائد قليلاً عن أخضر؛ لأن «أخضر» يخبر عن لون فقط، واللون متعلقة العين، لكن «خضر» يعطي

---

[١] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ١٣/ ٨٨

[٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج٧ ص٢٣٨ ط/إحياء التراث العربي ببيروت دون تاريخ

[٣] التفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٤٨

اللون، ويعطي الغضاضة ونعرفها «بالحس». وحين تلمسه تجد النعومة. إذن «خضر» فيها أشياء كثيرة؛ «لون» متعلق العين، و«غضاضة» نعرفها بالحس وفيها نعومة نعرفها باللمس. " [١]

هكذا كانت دلالة اللون الأخضر هنا على لون النبات والزرع والشجر حين نزول المطر، وقريب من هذه الدلالة دلالة اللون الأخضر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٢]

يقول السمرقندي: " ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ يعني تصير الأرض مخضرة بالنبات، ويقال: ذات خضرة. " [٣]

ويقول القشيري: " ماء السماء يحيى الأرض بعد موتها، وماء الرحمة يحيى أحوال أهل الزّلة بعد تركها، وماء العناية يحيى أحوال الناس بعد زوال رونقها، وماء الوصلة يحيى أهل القربة بعد لضوبها. " [٤]

ويقول ابن عطية: " ألم تر تنبيه وبعده خبر أن الله تعالى أنزل من السماء ماء فظلت الأرض تخضر عنه، وقوله فتصبح الأرض بمنزلة قوله فتضحي أو فتصير عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة. " [٥]

---

[١] تفسير الشعراوي (الخواطر) ٦/ ٣٨٢٣

[٢] سورة الحج آية ٦٣

[٣] بحر العلوم ٢/ ٤٦٨

[٤] لطائف الإشارات ٢/ ٥٥٧

[٥] المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ١٣١

وفي تفسير النسفي: " ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمان بعد زمان. " (١)

ويقول الشوكاني: " قال الفراء: ألم تر خبر كما تقول في الكلام: إن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة: أي ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة: أي ذوات بقل وسباع وهو عبارة عن استعجالها أثر نزول الماء بالنبات واستمرارها كذلك عادة وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة الاخضرار مع الإشعار بتجدد الإنزال واستمراره وهذا المعنى لا يحصل إلا بالمستقبل. " (٢)

وفي التفسير القرآني: " وفى التعبير عن إنزال الماء بالفعل الماضي، وعن اخضرار الأرض بالفعل الحاضر الذي يمتد إلى المستقبل في هذا إشارة إلى القرآن الكريم، الذي نزل، وإلى ثماره التي لا تنقطع أبداً، وأنه سيظل هكذا قائماً في الحياة، يروى القلوب، ويحيى موات النفوس، ويفيض الخير والبركة على الإنسانية إلى يوم الدين.. لقد نزل القرآن، وتلقى الذين شهدوا نزوله ما قدّر الله لهم من خيره ونوره، وهداه.. وسيظل هكذا نوراً قائماً في الناس، وخيراً ممدوداً لهم، يهتدون به، ويصيبون من خيره، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. " (٣)

---

(١) تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ج٣ ص٩٣ تحقيق/مروان محمد الشعار ط/دار النفائس ببيروت سنة ٢٠٠٥م

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٣/ ٦٦٧

(٣) التفسير القرآني للقرآن ٩/ ١٠٩٠

ويقول أبو زهرة: " وقد وصف سبحانه الأرض بأنها مخضرة إذ اختفت طينتها، ولم تبد إلا خضرة زرعها، والاخضرار للزرع لا لها؛ ولكن لأنه فيها سنح أن توصف هي بالاخضرار باعتبار ما فيها، ولأنه صار لها كسوة باهرة زاهرة. " [1]

ويقول الشعراوي: " فهل أخضرتْ الأرضُ ساعةَ نزل عليها المطر؟ لا، إنما بعد فترة، كأنه سبحانه يقول لك: لاحظ الحدث ساعة يوجد، واستحضر صورته، فبعد نزول الماء ترى الأرض تخضرّ تدريجياً، وإنْ لم تبذر فيها شيئاً، ففيها بذور شتَّى حملتْها الرياح، ثم استقرتْ في التربة ولو لسنوات طوال تظل صالحة للإنبات تنتظر الماء لتؤدي مهمتها. والذي عاش في الصحراء يشاهد هذه الظاهرة، وقد رأيناها في عرفة بعد أنْ نزل عليها المطر، وعُدْنا بعد عدة أيام، فإذا الأرض تكتسي باللون الأخضر. لذلك إياك أن تظن أن كل زرع زرعه الإنسان، وإلاَّ فمنْ أين جاءت أول بذرة زرعها الإنسان. إذن: هناك زراعات لا دخلَ للإنسان بها. " [2]

وعلى نفس السياق والدلالة جاء قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[3] في هذه الآية زيادة بيان عن عجيب صنعه، ومعنى ذلك أن العرب كانوا إذا احتاجوا إلى النار أخذوا غصناً من شجر المرخ وهو شجر طويل ليس له ورق ولا شوك، سريع الورى، يقتدح به، وغصناً من شجر العفار وهو الجوز المأكول، وهو الأدين، فضربوا أحدهما بالآخر فخرجت النار، فقيل لهم: إن الذي جمع بين الماء

---

[1] زهرة التفاسير ٩/ ٥٠١٨

[2] تفسير الشعراوي (الخواطر) ١٨/ ١١٣٤٧

[3] سورة يس آية ٨٠

والنار في الشجر الأخضر قادر على تضادهما، لا يطفئ الماء النار، ولا تحرق النار الشجر، قادر على أن يبعثكم ويرد أرواحكم إلى أجسادكم. ويقال: ما من شجرة إلا وفيها نار غير شجرة العناب، ولذلك يختارها القصارون لدق الثياب عليها.

يقول السمرقندي: " قال الكلبي كل شجرة يقدح منها النار إلا شجرة العناب فمن ذلك القصارون يدقون عليه ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يعني تقدحون يعني فهو الذي يقدر على أن يبعثكم. " [١]

ويقول الفخر الرازي: " قيل النار أربعة أقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً﴾[٢] ونار تأكل وتشرب وهي نار المعدة، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام. وقيل أيضاً: النار على أربعة أقسام، أحدها: نار لها نور بلا حرقة وهي نار موسى عليه السلام، وثانيها: حرقة بلا نور وهي نار جهنم، وثالثها: الحرقة والنور وهي نار الدنيا، ورابعها: لا حرقة ولا نور وهي نار الأشجار. " [٣]

ويقول الخازن: " قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والأخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى، تقول

---

[١] بحر العلوم ٣/ ١٢٦

[٢] سورة يس جزء من آية ٨٠

[٣] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢٢/ ١٤

العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر ناراً. " [١]

ويقول الشوكاني: " نبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب، وذلك أن الشجر المعروف بِالْمَرْخِ، والشجر المعروف بِالْعَفَارِ إذا قطع منهما عودان، وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران. قيل: المرخ هو الذكر والعفار هو الأنثى، ويسمى الأول الزَّنْدَ والثاني الزَّنْدَةَ، وقال الأخضر ولم يقل الخضراء اعتبارا باللفظ. " [٢]

كما توزع اللون الأخضر على السنابل الخضر التي وردت في رؤيا الملك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤] ودلالة اللون الأخضر هنا الخصب والنماء والري والنعومة في الدنيا، فيوسف عليه السلام فسر الرؤيا بالسنين المخصبات، فالسبع السنبلات الخضر هي الخصب واليابسات هي القحط.

---

[١] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٦/ ١٧

[٢] فتح القدير ٤/ ٤٤٠

[٣] سورة يوسف آية ٤٣

[٤] سورة يوسف آية ٤٦

يقول ابن أبي حاتم: " قوله: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ﴾ وهي السنون المخاصيب تخرج الأرض نباتها وزرعها وثمارها. " [1]

ويقول الزمخشري: " لما دنا فرج يوسف، رأى ملك مصر (الريان بن الوليد) رؤيا عجيبة هالته: رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس. وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان. ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها. " [2]

ويقول الخازن: " إذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حباً وماء وإلى جانبهن سبع أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى والماء. إذ هبت الريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سوداً فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعوراً فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئاً فما شأن هذه الرؤيا وإن كان عجباً فما هو بأعجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياي أيها الصديق ؟ قال يوسف عليه الصلاة والسلام : أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضاً فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج٧ ص٢١٥٣ تحقيق/أسعد محمد الطيب ط/نزار مصطفى الباز بالمملكة العربية السعودية ط/الثالثة سنة ١٤١٩هـ

[2] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/ ٤٤٦

وتأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنز والأموال ما لا يجتمع لأحد قبلك فقال الملك : ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العميل فيه فعند ذلك. " [١]

وفي التفسير الوسيط: " «سبع سنبلات خضر» قد امتلأت حباً، ورأيت إلى جانبها سبع سنبلات «أخر يابسات» قد ذهبت نضارتها وخضرتها، ومع هذا فقد التوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها. " [٢]

فاللون الأخضر لون التفاؤل وارتياح النظر، لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحة وجمالاً؛ لذا كان لباس أهل الجنة، ففي وصف لباس أهل الجنة جعل اللون الأخضر تعبيراً عن النعيم وهو أحسن ما يكون من الثياب وهو في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[٤]

يقول الطبري: " والسندس: جمع واحدها سندسة، وهي ما رقّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه وثخُن، وقيل: إن الإستبرق: هو الحرير. " [٥]

---

[١] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/ ٢٩١

[٢] التفسير الوسيط ٧/ ٣٦٧

[٣] سورة الكهف آية ٣١

[٤] سورة الإنسان آية ٢١

[٥] جامع البيان في تأويل القرآن ١٨/ ١٧

ويقول الفخر الرازي: " والمراد من سندس الآخرة واستبرق الآخرة، والأول: هو الديباج الرقيق وهو الخز، والثاني: هو الديباج الصفيق، وقيل: أصله فارسي معرب وهو استبره، أي غليظ، فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى قال في الحلي يُحَلَّوْنَ على فعل ما لم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون فأضاف اللبس إليهم؟ قلنا: يحتمل أن يكون اللبس إشارة إلى ما استوجبوه بعملهم، وأن يكون الحلي إشارة إلى ما تفضل الله عليهم ابتداء من زوائد الكرم. " [١]

وفي فتح البيان: " وقدم التحلي على اللباس لأنه أشهى للنفس، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ولكونه أحسن الألوان. " [٢]

ويقول المراغي: " أي ويلبسون رقيق الحرير وغليظه مما نسج من سلوك الذهب، وهذا لباس المترفين في الدنيا، ومنتهى ما يكون لأهل النعيم. واختير اللون الأخضر، لأنه أرفق بالأبصار، ومن ثم جعله الله لون النبات والأشجار، وجعل لون السماء الزرقة، لأنه نافع لأبصار الحيوان أيضاً، وقد قالوا: ثلاثة مذهبة للحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن. " [٣]

وهكذا فدلالة الأخضر هنا في ثياب أهل الجنة دلالة نعيم لأنه أحسن الألوان وهو أعدل الألوان وأنفعها عند البصر، وكان من شعار الملوك، فهو لون تستريح له النفس ويبعث الطمأنينة وهو أرفق بالأبصار، وقد يكون سبب اختيار اللون الأخضر للثياب لأنه كان لباس الملوك في

---

[١] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢١/ ١٠٤

[٢] فتح البيان في مقاصد القرآن ٨/ ٤٧

[٣] تفسير المراغي ١٥/ ١٤٥

الجاهلية، ولباس ملوك العرب في جاهليتهم، فقد قال النابغة الذبياني {الطويل}[1]:

يصونون أجساداً، قديماً نعيمها، بخالصة الأرْدانِ، خُضر المناكبِ

فالخضر كانت نوعاً من اللباس الذي يتجمل به أعالي القوم، فعاملهم الله جل وعلا بجنس صنيعهم، وقريب من ذلك وصف الرفرف وهي رياض الجنة أو فرش أو ثياب أو بُسط الجنة بالخضر، وهو قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[2] ويوحي اللون الأخضر هنا بالارتياح النفسي والاطمئنان القلبي والنعيم المقيم.

جاء في التفسير الواضح: " رَفْرَفٍ: هو ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، وقيل: هو فضول الفرش والبسط واشتقاقه من: رف يرف إذا ارتفع..... أصحاب هذه الجنان يتمتعون متكئين على رفرف خضر، وثياب تشبه الرياض عبقرية عجيبة غريبة، بلغت منتهى الحسن والجمال، فبأي آلاء ربك تكذبان!. " [3]

---

[1] البيت في ديوان النابغة الذبياني ص١٦ ط/دار المعرفة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ومعنى الخالصة: الشديدة البياض، والأردان جمع ردن، وهو مقدم كُم القميص.

[2] سورة الرحمن آية ٧٦

[3] التفسير الواضح ٣/ ٥٩٠، ٥٩١

ويقول السمعاني: " أي: رفرفاً أخضر قد سد الأفق، وهو البساط. وعلى الجملة: الرفرف كل فرش يرتفع، مأخوذ من الرف، وهو المرتفع في الجدار."[١]

وفي تفسير البغوي: " قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة. ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي. وروى العوفي عن ابن عباس: الرفرف فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة الزرابي. وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف."[٢]

ويقول الخازن: " قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل إن الرفرف البسط، وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف. " [٣]

ويقول السمين الحلبي: " ضرب من الثياب مشبه بالرياض. وقيل: الرفرف طرف الفسطاط والخباء الواقع على الأرض دون الأطناب والأوتاد. وذكر الحسن أنه المخاد انتهى. وقال ابن جبير: رياض الجنة، من رف البيت إذا تنعم وحسن. وعن ابن عيينة هي الزرابي. ونعت هنا بخضر لأن اسم

---

[١] تفسير القرآن للسمعاني ج٥ ص٣٣٩ تحقيق/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ط/دار الوطن بالرياض ط/الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

[٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ٧/ ٤٥٨

[٣] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٧/ ١٣

الجنس ينعت بالجمع كقوله: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾[1] وبالمفرد. وحسن جمعه هنا جمع حسان."[2]

الدلالة السياقية للون الأخضر: تبرز دلالة اللون الأخضر في الآيات القرآنية السابقة لتدل على حقيقتين هما:

الأولى: يكون الأخضر فيها له وجود مؤقت وزائل لأنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الدنيا، فالأخضر الأرضي مصيره إلى الزوال والرجوع إلى أصله الترابي، وهو لون النبات والشجر والأرض بعد نزول المطر المسبب عن هذه الخضرة.

والثانية: يكون الأخضر فيها له وجود دائم ومستمر لا يزول، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخرة، فالأخضر الأخروي متمثل في لون ثياب أهل الجنة ورياضها وفرشها، فهو لون تستريح له النفس ويبعث الطمأنينة وهو أرفق بالأبصار، ويوحي بالارتياح النفسي والاطمئنان القلبي والنعيم المقيم.

وبين الحقيقتين تشابه وغير تشابه، فالتشابه من حيث اللونية، وغير التشابه من حيث الديمومة، فالأخضر الدنيوي غير دائم، والأخروي دائم الخضرة كما يمتاز اللون الأخضر في الجنة من كون خضرته تامة.

وكأن الحق تعالى أراد لنا أن نتأمل بشكل جيد ما يقع أمام الحس، وما يصفه تعالى في جناته فنختار الأجمل من كلا الوصفين، وإذا كان الوصف الثاني مغيب عن الحس فهذا لا يعني عدم وجوده، فإن الله تعالى

---

[1] سورة ق جزء من آية ١٠

[2] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج١٠ ص١٨٦ تحقيق/أحمد محمد خراط ط/دار القلم بدمشق دون تاريخ

قادر أن يجعل الأرض الصحراء خضراء بعد إرساله للمطر، كما أنه قادر أن يجعل منطقة أخرى رطبة طوال السنة خضراء دائمة الخضرة كما هو الحال في بعض المناطق الشمالية، فكذلك الحال في عالم الآخرة أن يجعل تعالى نباتها موصوفاً بهذا الوصف الجميل. [١]

(٤) اللون الأصفر

ورد اللون الأصفر في القرآن الكريم خمس مرات في خمس آيات، ودلالته في هذه الآيات كما يلي:

١ـ دلالة إدخال السرور على من ينظر إلى هذا اللون إذا كان في الحيوان، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[٢]

الدلالة السياقية:

جاء اللون الأصفر هنا ليدل على الصحة والنضارة والحيوية، فاللون الأصفر يبعث في النفس السرور لأنه أقرب لون لعملية الإشراق التي هي نقيض الظلمة، فالشروق آية من آيات الحق لو تأملها العبد بدقة، وقد دل على ذلك قوله (تسر الناظرين) حيث آثر السياق إسناد الفعل تسر إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون؛ لأن اللون الأصفر ليس مما يسر الناظرين مطلقاً، ولكنه ربما يوحي بالضعف والشحوب والهزال والجدب والهلاك، وذلك حسب درجة اللون والموصوف به ودلالة السياق عليه، والأمر هنا أن الموصوف بالصفرة بقرة بني إسرائيل، وقد بلغ اللون أعلى درجات الصفرة، وقد عبر عنه بقوله (فاقع لونها) ليدل على أنه قد بلغ أعلى

---

[١] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص٣٣

[٢] سورة البقرة جزء من آية ٦٩

درجة من الصفرة، وهنا تبدو الدقة القرآنية في اختيار الألفاظ واستقصاء حقيقة اللون وإظهار أعلى درجاته، ولهذا كان اللون الأصفر من أحسن ألوان البقر، كما جاء السياق معبراً عن المعنى المراد من اللون الأصفر بإظهار السرور والبهجة وهو المراد من قوله (تسر الناظرين).

يقول السمرقندي: " قال لهم موسى ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ يعني شديد الصفرة يقال أصفر فاقع إذا كان شديد الصفرة كما يقال أسود حالك وأبيض يقق وأحمر قاني وأخضر ناضر إذا وصف بالشدة، وقال بعضهم: أراد به بقرة صفراء الظلف والقرن يعني شعرها وظلفها وقرنها وكل شيء فيها أصفر، ويقال أراد به البقرة السوداء لأن السواد الشديد يضرب إلى الصفرة."[1]

ويقول البغوي: " فاقع لونها، قال ابن عباس: شديدة الصفرة، وقال قتادة: صاف، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع، إنما يقال أصفر فاقع، وأسود حالك وأحمر قانىء وأخضر ناضر وأبيض بقق للمبالغة، تسر الناظرين: إليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها."[2]

ويقول الزمخشري: " الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه. يقال في التوكيد: أصفر فاقع ووارس، كما يقال أسود حالك وحانك، وأبيض يقق ولهق. وأحمر قانى وذريخى. وأخضر ناضر ومدهامّ. وأورق خطبانىّ وأزمك ردانىّ. فإن قلت: فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون، فلم يقع توكيداً لصفراء قلت: لم يقع خبرا عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء، إلا أنه ارتفع اللون به

---

[1] بحر العلوم ١/ ٨٩

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ١/ ١٢٩

ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها، فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها. فإن قلت: فهلا قيل صفراء فاقعة؟ وأي فائدة في ذكر اللون؟ قلت: الفائدة فيه التوكيد، لأنّ اللون اسم للهيئة وهي الصفرة، فكأنه قيل: شديدة الصفرة صفرتها، فهو من قولك: جدّ جدّه، وجنونك مجنون. وعن وهب: إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه. " [١]

وفي التحرير والتنوير: " احتيج إلى تأكيد الصفرة بالفقوع وهو شدة الصفرة لأن صفرة البقر تقرب من الحمرة غالبا فأكده بفاقع والفقوع خاص بالصفرة، كما اختص الأحمر بقان والأسود بحالك، والأبيض بيقق، والأخضر بمدهام."[٢]

ويقول أبو زهرة: " الصفراء هي ما فيها لون الصفرة، ومعنى ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي خالص صاف له

بريق ولمعان، ولذلك يسر الناظرين، أي تتلقاه الأنظر بالسرور، وكأن هذه كانت أوصاف العجل الذي كان المصريون يعبدونه، وكان يجب عليهم بعد ذلك أن يفعلوا ما أمروا غير متلومين، ولا متحيرين ولكنهم أثاروا بعد ذلك ما يفيد حيرتهم، ولا حيرة في ذات الموضوع إنما الحيرة في نفوسهم الملتوية التي سرى إليها تقديس البقرة. " [٣]

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ١٥٠

[٢] التحرير والتنوير ١/ ٥٣٥

[٣] زهرة التفاسير ١/ ٢٦٧

ويقول الشعراوي: " وصف البقرة بأنها صفراء هذا لون معروف، وفي الألوان لا يمكن أن تحدد لوناً إلا برؤيته. ولذلك فإن المحسَّات في الألوان لابد أن تسبق معرفتها وبعد ذلك تأتي باللون المطلوب. لذلك لا يقال صفراء فقط لأنك لا تستطيع تحديده؛ لأن اللون الأصفر له درجات لا نهاية لها. ومزج الألوان يعطيك عدداً لا نهائياً من درجاتها. ولذلك فإن المشتغلين بدهان المنازل لا يستطيعون أن يقوموا بدهان شقة بلون إلا إذا قام بعمل مزيج اللون كله مرة واحدة. حتى يخرج الدهان كله بدرجة واحدة من اللون. ولكن إذا طلبت منه أن يدهن الشقة باللون نفسه بشرط أن يدهن حجرة واحدة كل يوم فإنه لا يستطيع، فإذا سمعت صفراء يأتي اللون الأصفر إلى ذهنك، فإذا سمعت «فاقع» فكل لون من الألوان له وصف يناسبه يعطينا دقة اللون المطلوب «فاقع» أي شديد الصفرة. " [1]

وليس لون البقرة الأصفر لإدخال السرور والبهجة على الناظر فحسب، بل هو دليل على صحة البقرة وسلامتها من العيوب، فقد قررت أصول علم الطب البيطري أن خير الأبقار وأفضلها هو ما كان لونها شديد الصفرة في صفاء (فاقع) وأنه على قدر صفاء اللون وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة. [2]

٢ـ دلالة الإفساد والدمار إذا كان في الريح، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[3]

---

[1] تفسير الشعراوي (الخواطر) ١/ ٣٩٤

[2] الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ص٦٩

[3] سورة الروم آية ٥١

الدلالة السياقية:

ورد اللون الأصفر هنا على صيغة (مصفراً) وهو اسم مفعول يقتضي الوصف بمعناه في الحال، أي فرأوه يصير أصفر، وذلك في سياق بيان قدرة الله عز وجل وتفرده بالألوهية، وقد جاء اللون الأصفر هنا متناغماً مع السياق الوارد فيه، فالآية وردت في سياق بيان حال أهل الكفر إذا أصابهم العذاب ممثلاً في اصفرار الزرع الذي يعقبه الجفاف والهلاك؛ وذلك بإرسال الريح التي رأوها مصفرة بما تحمل من رمل وتراب، حيث تصورهم الآية أعجب تصوير من حيث إظهارهم الكفر عندما يكون الزرع أخضر، فإذا أصابته الريح المهلكة للزرع والضرع أو التي يصفر منها الزرع فيصير حطاماً يكفرون سخطاً ويأساً بدلاً من أن يستسلموا لقضاء الله ويتوجهوا إليه بالضراعة والدعاء ليرفع عنهم البلاء.

وهكذا كانت دلالة اللون الأصفر هنا التعاسة والحزن والابتلاء، وكانت دلالته في الآية السابقة للسرور والاستبشار، واللون الأخضر في النبات يسر به الإنسان على عكس اللون الأصفر، فالأول يأتي عقب ريح ممطرة، والثاني عقب ريح صفراء غير ممطرة.

والصفار هنا يقود بعض الناس إلى اللوم لما يجدوه من قاهرية الحق تعالى لهم حين طالت هذه القاهرية أرزاقهم المادية؛ ليدرك البعض منهم أن هذه القاهرية سببها سوء عملهم، إن هذه القاهرية هي أقرب ما تكون من الإنذار للناس لعلهم يتذكرون ما كان ينبغي عليهم من عمل وتوجه للحق تعالى، وإلا فإن عذاب الحق تعالى سيطالهم في الدارين. [1]

---

[1] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص٥٥

جاء في التفسير الواضح: " وتالله لئن أرسلنا ريحا مضرة، فأضرت زرعهم، فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ويجحدون سالف نعمة الله عليهم، فهم قوم قلوبهم خالية من الإيمان الكامل والاعتماد على الله حقا، فهم إذا أصابهم الخير فرحوا واستبشروا، وإن غاب عنهم القطر أبلسوا ويئسوا. وانقطعت أنفسهم حزنا وألما، وإن أصابهم جدب أو هلاك لزرع كفروا بنعمة الله، ونسوا ما أنعم عليهم به، فبئس هؤلاء القوم المترددون بين الإفراط في الفرح والتفريط في الحزن والكمد. " [1]

ويقول الفخر الرازي: " الريح المضرة إما أن تضر بكيفيتها أو بكميتها، أما الكيفية فهي إذا كانت حارة أو متكيفة بكيفية سم، وهذا لا يكون للريح في هبوبها وإنما يكون بسبب أن الهواء الساكن في بقعة فيها حشائش رديئة، أو في موضع غائر وهو حار جداً، أو تكون متكونة في أول تكونها كذلك، وكيفما كان فتكون واحدة لأن ذلك الهواء الساكن إذا سخن ثم ورد عليه ريح تحركه وتخرجه من ذلك المكان فتهب على مواضع كاللهيب ثم ما يخرج بعد ذلك من ذلك المكان لا يكون حاراً ولا متكيفاً لأن المكث الطويل شرط التكيف، ألا ترى أنك لو أدخلت إصبعك في نار وأخرجتها بسرعة لا تتأثر، والحديد إذا مكث فيها يذوب فإذا تحرك ذلك الساكن وتفرق لا يوجد في ذلك الوقت غيره من جنسه، وأما المتولدة كذلك فنادرة وموضع ندرتها واحد، وأما الكمية فالرياح إذا اجتمعت وصارت واحدة صارت كالخلجان ومياه العيون إذا اجتمعت تصير نهراً عظيماً لا تسده السدود ولا يرده الجلمود ولا شك أن

[1] التفسير الواضح ٣/ ٣٦

في ذلك تكون واحدة مجتمعة من كثير فلهذا قال في المضرة ريح وفي النافعة رياح. " [١]

وفي التحرير والتنوير: " إذا أصابتهم النعمة استبشروا ولم يشكروا وإذا أصابتهم البأساء أسرعوا إلى الكفران فصور لكفرهم أعجب صورة وهي إظهارهم إياه بحدثان ما كانوا مستبشرين منه إذ يكون الزرع أخضر والأمل في الارتزاق منه قريبا فيصيبه إعصار فيحترق فيضجون من ذلك وتكون حالهم حالة من يكفر بالله وتجري على أقوالهم عبارات السخط والقنوط. " [٢]

٣. دلالة الفناء واليبوسة والتهشم إذا كان في الزروع، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٤]

الدلالة السياقية:

فاللون الأصفر هنا في عالم النبات كناية عن الموت المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأشكاله وألوانه بعد تحوله من ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي

---

[١] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢٥/ ١١٨

[٢] التحرير والتنوير ٢١/ ٧٦

[٣] سورة الزمر آية ٢١

[٤] سورة الحديد آية ٢٠

إلى الموت، والآية ترسم لوحة فنية لتلك الجنات اليانعة التي تجري فيها الأنهار وتكثر فيها الأشجار وتتنوع فيها الثمار مختلفة الألوان والأشكال تدليلاً على قدرة الواحد القهار، والتي يشاهدها الناس بالليل والنهار، والآية فيها تمثيل لحياة الإنسان والنبات بالحياة الدنيا، فمهما طال عمر الإنسان فلابد من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون متحطم الأعضاء متكسراً كالزرع بعد نضرته، ثم تكون عاقبته الموت، وعليه فإن اصفرار النبات في الآيتين دلالة على أنه بلغ كمال النضج الذي يعقبه الجفاف واليبس والهلاك، وهو ما أكده قوله: (ثم يجعله حطاماً) (ثم يكون حطاماً)، والملاحظ في الآيتين أن اللون الأصفر ورد بلفظ (مصفراً) دون (فيصفر) للإيذان بأن اصفراره مقارن لجفافه، ومعلوم أن اصفرار الأوراق وذبولها يؤدي إلى جفافها وسقوطها، وليس في الآيتين تكرار وإنما هو نظر واعتبار وأن الآيتين بكلماتهما وجمالهما مناسبتان لسياقهما ومقامهما.

يقول ابن كثير: " الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً. " [1]

فمهما طال عمر الإنسان فلابد من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون متحطم الأعضاء متكسراً كالزرع بعد نضرته ثم تكون عاقبته الموت.

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٦٢ تحقيق/محمود حسن ط/دار الفكر سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

جاء في التفسير الواضح: " وهذه هي الدنيا الفانية متاعها زائل، وهي عرض حائل، الملتحف بها لا يدفأ، والمعتمد عليها معتمد على أوهى من بيت العنكبوت، إنما مثلها كماء أنزله الله من السماء فسلكه ينابيع من الأرض وأرسل منه عيوناً متفجرة أخرج بها زرعاً مختلف الأشكال والألوان والأنواع، ثم يهيج ويبس فتراه مصفراً ذابلاً، ثم يكون حطاماً مكسراً وعصفاً مأكولاً، إن في ذلك لذكرى، ولكن لأولى الألباب. نعم، إن العاقل الذي ينظر إلى تلك المظاهر التي يمر بها النبات يعرف أن عمر الحيوان كذلك مهما طال، وأنه وإن طال عمره فلا بد له من الانتهاء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] وهكذا الدنيا. " [2]

ويقول القشيري: " أخبر أنه ينزل من السماء المطر فيخرج به الزرع فيخضرّ، ثم يأخذ في الجفاف، ثم يصير هشيماً، والإشارة من هذا إلى الإنسان، يكون طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يصير إلى أرذل العمر ثم في آخره يخترم. ويقال إن الزّرع ما لم يأخذ في الجفاف لا يؤخذ منه الحبّ، فالحبّ هو المقصود منه. كذلك الإنسان ما لم يحصل من نفسه وصول لا يكون له قدر ولا قيمة. ويقال إن كون المؤمن بقوة عقله يوجب استفادة له بعلمه إلى أن يبدو منه كمال يمكّن من أنوار بصيرته، ثم إذا بدت لائحة من سلطان المعارف تصير تلك الأنوار مغمورة. فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة. " [3]

---

[1] سورة القصص جزء من آية ٨٨

[2] التفسير الواضح ٣/ ٢٦٣

[3] لطائف الإشارات ٣/ ٢٧٦

ويقول الزمخشري: " شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاماً عقوبة لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين. " [١]

فدلالة الأصفر هنا تشير إلى أن الارتباط بمغريات الحياة مثلها مثل الزرع الذي يبس فيكون عرضة لتهديد ريح الأقدار، ومن أجل أن يحصل المرء على نضارة الزرع الذي لا يقبل هذا التحول عليه أن يعمل على ترقية نفسه من مستوى مرتبة النفس الأمارة بالسوء إلى مرتبة النفس اللوامة، فالأصفر بدلاً من أن يكون نتيجة لتعلقنا بالحياة، يصبح خطوة أولى للسفر إلى عالم الحقيقة، وبدلاً من أن يكون تمسكنا بصبغة صفراء واهية يجب أن يكون تمسكنا بنور أصفر تسعد به الروح في أول رحلة لها إلى عالم الحقيقة، هذه الثنائيات من الدلالات للون الأصفر تمنحنا مستوى من الخيار، ولنا أن نختار إما الميل لحياة قصيرة محدودة اللذة والمتعة، وإما لحياة خالدة هانئة سرمدية ليس لها نهاية. [٢]

٤. دلالة وصف شرر جهنم المتطاير بالجمال الصفر، وذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[٣] **الدلالة السياقية:**

ورد اللون الأصفر هنا ليحمل دلالة التخويف والتهويل، فالله تعالى أراد المبالغة في وصف جهنم وأهوالها فجاء على سبيل التشبيه مبيناً أن جهنم

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤/ ٤٧٦

[٢] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص٦١، ٦٢

[٣] سورة المرسلات آية ٣٣

تقذف بشرر عظيم من النار، كل شرارة منها كأنها القصر العظيم، ثم زاد في التخويف والتهويل فشبه شرر جهنم المتطاير منها بالإبل الصفر في لونها وسرعة حركتها، ونلحظ أن اللون الأصفر هنا ورد بصيغة الجمع (صفر) ويحمل معنى السواد، وقد جاء منفراً ومخوفاً، حيث كشف عن صورة النار وضخامتها ولونها كشفاً يبعث على الخوف والفزع والهول، فإذا كان شرر النار كالجمال السود التي تميل إلى الصفرة، فما بالنا بالنار نفسها.

فاللون الأصفر هنا جاءت دلالته إلى صفة من صفات دركات جهنم، أي وصف لشكل من أشكال العذاب في الآخرة وكأنه يذكر أصحاب النار أن هذا العذاب هو نتيجة طبيعية للذين احتجبوا بالحياة الدنيا، وباللذات الحسية المحدودة عن تلك اللذة الروحية المطلقة، فاللون الأصفر هنا هو ما يؤول إليه الاحتجاب بالغواشي وجهة الطبع، وبما أن مآل أهل الجنان إلى الكمال بالله، والفناء فيه وإن ليس للكمال لون يتميزون به سوى النور الإلهي، فالنور ليس لون وهذا هو غاية كل متقي، في حين أن اللون الأصفر وهو لون النفس اللوامة هو لون بعد الزرقة، وكأن اللون الأصفر هنا هو على الرغم من إنه أول طريق الوصول غير أن أصحاب النار لم يجاهدوا أنفسهم حتى يتم لهم الوصول إليه، فجعله تعالى شكل من أشكال العذاب لكل من وقف دون مرتبة النفس اللوامة ذات اللون الأصفر. [1]

يقول النسفي: " ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ كوفي غير أبي بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع صُفْرٌ جمع أصفر أي سود تضرب إلى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم

[1] دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي ص٦٣

والطول واللون. " [١]

وفي روح البيان: " ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ جمع جمل كحجارة في جمع حجر، والتاء لتأنيث الجمع أو اسم جمع كالحجارة، والجمل ذكر الإبل والناقة أنثاه وإذا لم يكن في جماعة الإبل أنثى، يقال جمالة بالكسر، والصفر جمع أصفر والصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض وهى أن البياض أقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد، والمعنى: كأن كل شررة جمل أصفر أو كجمل أسود لأن سواد الإبل يضرب الى الصفرة، كما قيل لبعض الظباء آدم لأن بياضها تعلوه كدرة ولأن صفر الإبل يشوب رؤوس أشعارها سواد. " [٢]

وفي التفسير القرآني: " وفى وصف الجمال بأنها صفر، إشارة إلى وصف لون الشرر، بعد أن وصف بالضخامة بأنه كالقصر، وفى وصف لون الشرر بالجمالات الصفر دون غيرها من كل ذي لون أصفر إشارة إلى الحركة، واللون، والضخامة، جميعاً. فهذا الشرر ينطلق بعضه إثر بعض في تتابع كأنه قطعان من الجمال الصفراء، ينطلق بعضها إثر بعض! فالويل للمكذبين من هذاالبلاء المحيط بهم،ومن هذه النار التي ترمى بهذا الشرر العظيم."[٣]

وفي التفسير الوسيط: " أي: كأن هذا الشرر في هيئته ولونه وسرعة حركته جمال لونها أصفر."[٤]

---

[١] تفسير النسفي ٣/ ٥٨٧

[٢] روح البيان ١٠/ ٢٨٨

[٣] التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٤٠٤

[٤] التفسير الوسيط ١٥/ ٢٣٩

ويقول المراغي: " أي إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق في جهات كثيرة كأنه القصر عظماً وارتفاعاً، وكأنه الجمال الصفر لوناً وكثرة وتتابعاً وسرعة حركة. " [١]

وتظهر هنا للأصفر دلالة أخرى، فلو غضضنا الطرف عن الموصوف، ونظرنا إلى صورة الإبل الصفر وهي ترعى هنا وهناك، لرأينا أن الصورة لا تخلو من مظهر جمالي، إذ الإبل الصفر من أجمل الإبل وأحبها إلى العرب، ولكنها وردت هنا مشبهاً به للترهيب. [٢]

الدلالة السياقية للون الأصفر: من خلال الآيات السابقة يتضح تغير دلالة اللون الأصفر فرحاً أو ترحاً من آية لأخرى تبعاً للسياق، فالأصفر في البقر يسر العين، وفي الآيات الباقية يدل على المرض والموت ونهاية الحياة، وقد استفاد المتخصصون في علم الجمال وفيزيولوجيا اللون من هاتين الخصيصتين (جمال المنظر والدلالة الحزينة) وطبقوها على كثير من الدراسات المعاصرة؛ لذلك قالوا: إذا كان الأصفر هو لون الذهب والشمس، والغروب الجميل فإنه أيضاً لون الخريف، نهاية الحياة، ولون الصحاري القاحلة، ولون الجسم مع الأمراض المزمنة، وغير ذلك من الموحيات المؤثرة التي تثير الأسى في النفس. [٣]

---

[١] تفسير المراغي ٢٩/ ١٣٤

[٢] الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ص٧٠

[٣] ظاهرة اللون في القرآن الكريم لمحمد قرانيا بحث منشور في مجلة التراث العربي العدد ٧٠ كانون الثاني يناير السنة الثامنة عشرة ص٩٠

(٥) اللون الأحمر

ورد اللون الأحمر في القرآن الكريم آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[١]

الدلالة السياقية

ورد اللون الأحمر هنا في سياق حديث القرآن عن قدرة الله عز وجل وكماله في وصف الأشياء المتنوعة المختلفة واصفاً الجبال في آية واحدة، فقد جاء سياق الآية للحث والتحريض على النظر في عجائب قدرة الخالق جل وعلا وعجائب صنعه، ليؤدي ذلك إلى العلم بعظمة الله وجلاله والعلم بخشيته، فدلالة اللون الأحمر هنا لون قطع بعض الجبال ولون الثمار بالأشجار، والآية تصف مظهراً من مظاهر الجمال الحسي، وهو اختلاف ألوان الجبال أو حتى الجبل نفسه تختلف ألوان أجزائه بين أبيض وأحمر وأسود، إلا أن الملاحظ أن الأحمر نفسه ليس على درجة واحدة بل مختلف الدرجات وكأنه نفسه ألواناً، كما تشير الآية ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ فهو بهذا التدرج الواسع يضفي على الشكل جمالاً ومتعة، واستخدام القرآن للألوان في الآية الكريمة من قبيل طباق التدبيج على اعتبار أن البياض كناية عن الطرق الواضحة، والسواد كناية عن الطرق غير الواضحة، واللون الأحمر كناية عن المشتبه من الطرق، بيد أن واقع هذه الألوان بينها تقابل إلا أنها تصف مشهداً من مشاهد الطبيعة الجبلية التي خلقها سبحانه وتعالى لتلك الألوان البديعة التي تدل على قدرة وعجيب صنع الخالق سبحانه وتعالى،

[١] سورة فاطر آية ٢٧

ومن التعسف إخراجها على الكناية على الطرق الواضحة وغيرها؛ لأن سياق الآية يرشد إلى صرف الأنظار إلى مخلوقات الواحد القهار والنظر بعين الاعتبار في دقيق صنعه وعجائب قدرته.

وإذا علمنا أن الأصل في تكون معظم الجبال هو ما تقذفه البراكين من حمم منصهرة فلا يبعد أن اللون الأحمر وتدرجه في الجبال له علاقة بأصل تكوينه، وهو الحمم البركانية والله أعلم، وأياً كان أصله فإن اللون الأحمر قابل للتدرج في الشدة أكثر من غيره مما يضفي على المنظر جمالاً وبهاء وحسناً. (١)

والتحريات الجيولوجية تقول بأن الاختلاف في ألوان الجبال الصلبة له دلالة أولية على وجود خامات المعادن المحتوية على عناصر الحديد والنحاس والرصاص والزئبق وغيرها من العناصر الكيماوية المنتشرة في هذا الكون تبعاً للون المميز لهذه الخامات، إن في ألوان الجبال شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها وكذلك في خلق الدواب والأنعام والناس مختلفاً ألوانها كاختلاف الثمار والجبال، وترى جمال هذا الكون عنصراً مشتركاً وهذا يستحق النظر والالتفات ويستشعره القلب ويتحرك به ويرى به يد الله المبدعة للألوان والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل. إن اللون الأحمر في هذه الصورة ليس له خصوصية مميزة عن اللونين الآخرين الأبيض والأسود لأنها جميعاً جاءت لتعبر عن ألوان الطبيعة وعن قدرة الله تعالى على الخلق

(١) الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ص٧٢

والإبداع في خلق الأشياء المختلفة في أشكالها وهيئاتها وأحجامها وألوانها وكل شيء من مخلوقاته ينطق بعظمته فتبارك الله أحسن الخالقين. [١]

(٦) اللون الأزرق

ورد اللون الأزرق في القرآن الكريم في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[٢]

الدلالة السياقية

ورد اللون الأزرق هنا في سياق حديث القرآن عن بيان العذاب الذي أعده الله للمجرمين، فهم يحشرون زرق العيون أو الأبدان، فاللون الأزرق لون وجوه المجرمين عند الحشر وهو يدل على الخوف والرهبة والوجل من شدة أهوال ذلك اليوم، وقد اختلف العلماء في بيان المراد باللون الأزرق، فقال بعضهم المراد به حقيقة اللون الأزرق، ويرى آخرون أن المراد به الكناية، فهم يحشرون عطاش وعمي وشاحبي الألوان، وأرى أن الأولى ألا يكون على سبيل الحقيقة وإنما على طريق الكناية، فالتفاضل بين البشر يوم القيامة لا يكون بلون العيون ولا بصور الأجساد وإنما بالتقوى والعمل الصالح، كما أن الأقرب للصواب في دلالة اللون الأزرق هو العمى وإن كانت الدلالات الأخرى جائزة؛ وذلك مبالغة في تنكيلهم وتعذيبهم، وهذا المعنى مناسب للسياق حيث ذكر اللون في سياق العذاب للمعرضين عن ذكر الله في الآخرة وسماهم مجرمين، وقد جاء في آية طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

---

[١] اللون في القرآن الكريم لأسماء وليد حمدون ص١٧

[٢] سورة طه آية ١٠٢

مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1] وعليه فإن قوله (زرقاً) كناية عن العمى؛ لأن الزرقة من لوازم العمى، كما أن حشر المجرمين باللون الأزرق لم يشمل الوجوه أو العينين فقط بل لكل الهيكل الإنساني، فإن اللون الأزرق يستخدم للتبشيع والتخويف، وقد كانوا في العصور الوسطى يَطْلُون وجوه الجنود باللون الأزرق لإخافة الأعداء وإرهابهم، وتعارف الناس أنه لون الشيطان؛ لذلك نقول في لغتنا العامية (العفاريت الزرق) ونقول في الذم: (فلان نابه أزرق). ويقول الشاعر{الطويل}[2]:

أَيَقْتُلُنِي والمْشرَفيُّ مُضاجِعي ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوالِ

يقول السمرقندي: " ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ يعني عطاشاً ويقال عمياً ويقال زرق الأعين، وروي عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس إن الله يقول في موضع ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[3] ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[4] فقال ابن عباس: إن يوم القيامة له حالات في حال زرقاً وفي حال عمياً، وقال القتبي ﴿زُرْقاً﴾ أي تبيض عيونهم من العمى أي ذهب السواد والناظر، وقال الزجاج: يقال عطاشاً لأن من شدة العطش يتغير سواد الأعين حتى تزرق. " [5]

---

[1] سورة طه آية ١٢٤

[2] البيت لأمرئ القيس وهو في ديوانه ص١٣٧ ط/دار المعرفة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ومعنى المشرفي: السيف، والمسنونة الزرق: نصال الرماح، وأغوال: الشياطين، يريد بذلك التهويل.

[3] سورة طه آية ١٠٢

[4] سورة الإسراء جزء من آية ٩٧

[5] بحر العلوم ٢/ ٤١٢

ويقول الزمخشري: " قيل في الزرق قولان، أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأنّ الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين. والثاني: أنّ المراد العمى، لأنّ حدقة من يذهب نور بصره تزراقّ. " [١]

ويقول ابن عطية: " وقوله: ﴿زُرْقاً﴾ اختلف الناس في معناه، فقالت فرقة يحشرهم أول قيامهم سود الألوان زرق العيون تشويه ما ثم يعمون بعد ذلك وهي مواطن، وقالت فرقة: إنهم يحشرون عطاشاً والعطش الشديد يرد سواد العين إلى البياض فكأنهم بيض سواد عيونهم من شدة العطش، وقالت فرقة: أراد زرق الألوان وهي غاية في التشويه لأنهم يجيئون كلون الرماد. " [٢]

وفي التحرير والتنوير: " والزرق: جمع أزرق، وهو الذي لونه الزرقة. والزرقة: لون كلون السماء إثر الغروب، وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر لأنه يشبه لون ما أصابه حرق نار. وظاهر الكلام أن الزرقة لون أجسادهم فيكون بمنزلة قوله:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٣] وقيل: المراد لون عيونهم، فقيل: لأن زرقة العين مكروهة عند العرب. والأظهر على هذا المعنى أن يراد شدة زرقة العين لأنه لون غير معتاد، فيكون كقول بشار{البسيط}[٤]:

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/ ٨٧

[٢] المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٦٣

[٣] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٦

[٤] البيت منسوب لكلثوم بن عمرو التغلبي من شعراء الدولة العباسية في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٤ ص١٢٤ تحقيق/إحسان عباس ط/دار صادر ==

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهٌ سُودُ

وقيل: المراد بالزرق العمي، لأن العمى بلون العين بزرقة. " [١]

ويقول الزجاج: " وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[٢] قيل: عطاشاً، وقيل: عُمْياً، يخرجون من قبورهم بُصرَاءَ كما خلقوا أول مرة ويعمَوْنَ في المَحْشرِ، وإنما قيل زُرْقاً لأن السواد يزرق إذا ذهبت نواظرُهُمْ. ومن قال عطاشاً فجيّدٌ أيْضاً، لأنهم من شدة العطش يتغير سواد أعْيُنهم حتى يزرق."[٣]

ويقول المراغي: " أي وفى هذا اليوم يساق المجرمون إلى المحشر شاحبي الألوان زرق الوجوه، لما هم فيه من مكابدة الأهوال ومقاساة الشدائد التي تحلّ بهم. " [٤]

وفي أضواء البيان: " وبين في موضع آخر شدة تشويه وجوههم بزرقة العيون، وهو قوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[٥]، وأقبح صورة أن تكون الوجوه سوداً والعيون زرقاً، ألا ترى الشاعر لما أراد أن يصور علل البخيل

==

ببيروت سنة ١٩٧١م ومنسوب لبشار بن برد في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج٣ ص١٩١ تحقيق/سمير جابر ط/دار الفكر ببيروت ط/الثانية وغير موجود في ديوانه.

[١] التحرير والتنوير ١٦/ ١٨٠

[٢] سورة طه جزء من آية ١٠٢

[٣] معاني القرآن وإعرابه ٣ /٣٧٦

[٤] تفسير المراغي ١٦/ ١٤٩

[٥] سورة طه جزء من آية ١٠٢

في أقبح صورة، وأشوهها اقترح لها زرقة العيون، واسوداد الوجوه في قوله{البسيط}[1]:

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهٌ سُودُ

ولا سيما إذا اجتمع مع سواد الوجه اغبراره، كما في قوله: ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ*تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[2]فإن ذلك يزيده قبحا على قبح. " [3]

وفي زهرة التفاسير: " وزرقاً أي أن أعينهم عميت لأن العين إذا عميت كان سواد حبتها أزرق، وذلك تشويه لها وتشويه للوجه وطمس للعين. " [4]

ويقول الإمام الشعراوي: " وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[5]، أي: نجمعهم ونسوقهم زُرْقاً، والزُّرْقة هي لونهم، كما ترى شخصاً احتقن وجهه، وازرقَّ لونه بسبب شيء تعرَّض له، هذه الزُّرْقة نتيجة لعدم السلام والانسجام في كيماوية الجسم من الداخل، فهو انفعال داخلي يظهر أثره على البشرة الخارجية، فكأن هَوْلَ القيامة وأحداثها تُحدِث لهم هذه الزرقة. والبعض يفسر ﴿زُرْقاً﴾ أي: عُمْياً، ومن الزُّرْقة ما ينشأ عنها العمى، ومنها المياه الزرقاء التي تصيب العين وقد تسبب العمى. " [6]

---

[1] البيت سبق

[2] سورة عبس جزء من آية ٤٠، ٤١

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٢٠٦

[4] زهرة التفاسير ٩/٤٧٨٤

[5] سورة طه جزء من آية ١٠٢

[6] تفسير الشعراوي ١٥/٩٣٨٤

المطلب الثاني: الألوان الفرعية:

(١) لون الدهمة (الأخضر المسود)

ورد اللون الأخضر المسود في القرآن الكريم في آية واحدة، ودلالته وصف لخضرة الجنة وقد مالت للسواد، وذلك في قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[١]

الدلالة السياقية:

دلالة الدهمة هنا شدة اخضرار الزرع من شدة الري إشارة إلى النعيم والرخاء عند أهل الجنة، فوصف الجنتين بالسواد مبالغة في شدة أشجارها حتى تكونا بالتفاف أشجارها وقوة خضرتها كالسوداوين؛ لأن الشجر إذا كان ريان اشتدت خضرة أوراقه حتى تقترب من السواد.

فلون الدهمة هنا يدل على شدة اخضرار الزرع إشارة إلى النعيم والرخاء عند أهل الجنة. والمعنى: أي خضراوان تضرب خضرتهما من الرائي إلى السواد، وذلك أحسن ما يكون في الخضرة أولاهم الأسود، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد ريا. فهما خضراوان من وفرة الري والعناية الربانية.

يقول القشيري: " ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: خضراوان خضرة تضرب إلى السواد. فالدهمة السواد والفعل منه ادهامّ والاسم منه مدهامّ، وللمؤنث مدهامّة، ولتثنية المؤنث مدهامتان. " [٢]

---

[١] سورة الرحمن آية ٦٤

[٢] لطائف الإشارات ٣/ ٥١٤

ويقول الواحدي: " قال أبو عبيدة، والزجاج: من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل نبت أخضر، فتمام خضرته من الري أن يضرب إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد رياً ادهياماً فهو مدهام. " [١]

ويقول الفخر الرازي: " ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي مخضرتان في غاية الخضرة وإدهام الشيء أي اسواد لكن لا يستعمل في بعض الأشياء، والأرض إذا اخضرت غاية الخضرة تضرب إلى أسود، ويحتمل أن يقال الأرض الخالية عن الزرع يقال لها بياض أرض وإذا كانت معمورة يقال لها سواد أرض كما يقال سواد البلد .... والتحقيق فيه أن ابتداء الألوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فإن الأبيض يقبل كل لون والأسود لا يقبل شيئاً من الألوان ولهذا يطلق الكافر على الأسود ولا يطلق على لون آخر ولما كانت الخالية عن الزرع متصفة بالبياض واللاخالية بالسواد فهذا يدل على أنهما تحت الأوليين مكاناً فهم إذا نظروا إلى ما فوقهم يرون الأفنان تظلهم وإذا نظروا إلى ما تحتهم يرون الأرض مخضرة. " [٢]

ويقول البيضاوي: " خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض، وعلى الأوليين الأشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت."[٣]

---

[١] الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٢٢٨

[٢] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢٩/ ١١٧

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٨١

ويقول الشعراوي: " وهذا اللون الأخضر يكون داكناً جداً أي أن خضرته شديدة حتى أنها تضرب إلى السواد؛ لذلك نسمع من يقول: «سواد العرق» أي الأرض الخصبة التي في العراق، ويسمونها سواد العرق لأنها خضراء خضرة شديدة ولذلك تكون مائلة إلى السواد، ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* مُدْهَآمَّتَانِ﴾[1] و«مدهامة» أي مثل دهمة الليل؛ كأنها من شدة خضرتها صارت كدهمة الليل. " [2]

(٢) لون الحوة (الأخضر المسود)

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى﴾[3]

الدلالة السياقية:

فالحوة السواد من شدة الخضرة، أو السواد إذا أصابته رطوبة من شدة اليبس، وتدور دلالة الحوة هنا بين معنيين، فهي إما أن تكون بمعنى السواد فهي حينئذ حال من المرعى، والمعنى كأن من خضرته يضرب إلى السواد كما قال في الآية السابقة ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾، والتقدير أخرج المرعى أحوى، وإما أن تكون أحوى صفة لغثاء، والمعنى أنه صار كذلك أسود من الجفاف بعد خضرته، فالغثاء إذا قدم وأصابته الأمطار اسود وتعفن فصار أحوى بهذه الصفة، وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار على ذهاب الدنيا بعد نضارتها، فالله تعالى خلق الأنواع كلها، فخلق الأرض التي جعلها الله زينة وفيها الخصب والنماء، وأنها تتحول إلى غثاء أحوى، فكذلك يخرج الحي من

---

[1] سورة الرحمن آية ٦٢. ٦٤

[2] تفسير الشعراوي (الخواطر) ٦/ ٣٨٢٣

[3] سورة الأعلى آية ٥

الميت، والميت من الحي، فليس عجيباً أن يعود الناس أحياء بعد موتهم، فلا غرابة ولا عجب في أن يكونوا تراباً ثم يكونوا من بعد ذلك خلقاً جديداً.

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره: فجعل ذلك المرعى غُثاء، وهو ما جفّ من النبات ويبس، فطارت به الريح؛ وإنما عُني به هاهنا أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً إلى الحُوَّة، وهي السواد من بعد البياض أو الخضْرة، من شدّة اليبس. " [1]

وفي المحرر الوجيز: " قال قتادة: تقدير هذه الآية أخرج المرعى، أحوى أسود من خضرته ونضارته، فجعله غثاء عند يبسه، ف أحوى حال، وقال ابن عباس: المعنى فجعله غثاء أحوى أي أسود، لأن الغثاء إذا قدم وأصابته الأمطار اسود وتعفن فصار أحوى بهذه الصفة."[2]

ويقول الفخر الرازي: " ثم قال فجعله غثاء أحوى وفيه مسألتان: المسألة الأولى: الغثاء ما يبس من النبت فحملته الأودية والمياه وألوت به الرياح وقال قطرب واحد الغثاء غثاءة المسألة الثانية: الحوة السواد وقال بعضهم الأحوى هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابته رطوبة وفي أحوى قولان: أحدهما: أنه نعت الغثاء أي صار بعد الخضرة يابساً فتغير إلى السواد وسبب ذلك السواد أمور أحدها: أن العشب إنما يجف عند استيلاء البرد على الهواء ومن شأن البرودة أنها تبيض الرطب وتسود اليابس. وثانيها: أن يحملها السيل فيلصق بها أجزاء كدرة فتسود. وثالثها: أن يحملها الريح فتلصق بها الغبار الكثير فتسود. القول الثاني: وهو اختيار الفراء وأبي عبيدة

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤/ ٣٦٩

[2] المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٤٦٩

وهو أن يكون الأحوى هو الأسود لشدة خضرته كما قيل مُدْهَامَّتَانِ أي سوداوان لشدة خضرتهما والتقدير الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء."[١]

وفي التفسير القرآني: " وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى﴾[٢] إشارة إلى أن هذا المرعى الأخضر، لا يثبت على حال واحدة، بل إنه يتنقل من حال إلى حال، فيتحول من الحياة والخضرة، إلى الجفاف، والموات، فيكون «غثاء» أي هشيما «أحوى» أي أسمر اللون، بعد أن يلوّحه الجفاف، ويذهب منه ماء الحياة الذي كان يسرى في كيانه. وهذا من إبداع القدرة، التي تبدي وتعيد."[٣]

(٣) اللون الوردي الدهني

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٤]

الدلالة السياقية:

فقد شبه لون السماء في التغير والتلون بدهان الورد الصافي، ودلالة اللون الوردي هنا دلالة فزع ورهبة وخوف وذلك من شدة هول ورهبة ذلك اليوم العظيم يوم تنشق السماء، فإذا جاء يوم القيامة تصدعت السموات واختلت نظمها، وتبعثرت أجرامها وكواكبها عن مداراتها، واحمر لونها وأذيبت حتى صارت كأنها الزيت ونحوه مما يدّهن به. فكانت مثل الورد الأحمر من حرارة النار، ومثل الأديم الأحمر أي الجلد الأحمر. فالسماء تذوب وتتلوّن

---

[١] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٣١/ ١٢٧، ١٢٨

[٢] سورة الأعلى آية ٥

[٣] التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٥٢٩

[٤] سورة الرحمن آية ٣٧

كما تتلوَّن الأصباغ التي يُدهَنُ بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

يقول الفراء: " أراد بالوردة الفرس، الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه. " [١]

ويقول القشيري: " ينفكّ بعضها عن بعض وتصير في لون الورد الأحمر. ويقال: بها الفرش الموردة كالدهان وهو جمع دهن. أي كدهن الزيت وهو دردي الزيت. ويقال: كما أن الوردة يتلّون لونها إذ تكون في الربيع إلى الصّفرة، فإذا اشتدت الوردة كانت حمراء، وبعد ذلك إلى الغبرة فكذلك حال السماء تتلون من وصف إلى وصف في القيامة. " [٢]

ويقول ابن جزي الكلبي: " معنى وردة حمراء كالوردة، وقيل: هو من الفرس الورد، قال قتادة: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدّة الهول، وقيل: يشبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر. " [٣]

---

[١] معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٧ تحقيق/أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ط/دار المصرية للتأليف والترجمة بمصر ط/الأولى

[٢] لطائف الإشارات ٣/ ٥١٠

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٣٣٠ تحقيق د/عبد الله الخالدي ط/الأرقم ابن أبي الأرقم ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٦هـ

ويقول الشوكاني: " ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء﴾ أي انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي كوردة حمراء. قال سعيد بن جبير وقتادة: المعنى فكانت حمراء، وقيل: فكانت كلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة. قال الفراء وأبو عبيدة: تصير السماء كالأديم لشدة حر النار وقال الفراء أيضاً: شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد في ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه والدهان جمع دهن. وقيل: المعنى تصير السماء في حمرة الورد وجريان الدهن: أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لذوبانها، وقيل: الدهان: الجلد الأحمر، وقال الحسن كالدهان: أي كصبيب الدهن فإنك إذا صببته ترى فيه ألواناً، وقال زيد بن أسلم: إنها تصير كعصير الزيت. قال الزجاج: إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر. قال الماوردي: وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق. " [١]

وفي التفسير الوسيط: " والوردة جمعها ورود، وهي زهرة حمراء معروفة ذات أغصان شائكة. والدهان: ما يدهن به الشيء.. أي: فإذا انشقت السماء، فصارت حين انشقاقها وتصدعها، كالوردة الحمراء في لونها، وكالدهان الذي يدهن به الشيء في ذوبانها وسيلانها، رأيت ما يفزع القلوب، ويزلزل النفوس من شدة الهول. " [٢]

---

[١] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ١٦٥، ١٦٦

[٢] التفسير الوسيط ١٤/ ١٤٤

المبحث الرابع

دلالة الألوان في السياق النبوي

المبحث الرابع

دلالة الألوان في السياق النبوي

كثيراً ما جاء الخطاب النبوي الشريف متأثراً بمعاني القرآن الكريم، فكما كان للون دلالته في القرآن الكريم له دلالته أيضاً في الحديث النبوي الشريف، فاستخدام الحديث النبوي الشريف للون بوصفه رمزاً بالدرجة الأولى يصب في العقيدة الدينية التي أساسها أخلاق الإنسان فلابد أن يكون ذا أثر يختلف تبعاً لطبيعة البيئة العربية، فليس اختيار الرمز إذن تعسفياً أو اعتباطياً وإنما تدعو إليه ضرورة دينية تربوية وأخلاقية من أجل الدين الإسلامي الحنيف. [1]

ولقد دارت الألوان في الحديث النبوي الشريف بدلالات مختلفة ومتعددة، وفي هذا المبحث نتناول دلالات الألوان في السنة النبوية الشريفة من خلال تتبع عدد غير قليل من مواضع ورود الألوان ودلالاتها في كتب السنة مسترشداً بما اطلعت عليه من كلام شراح الحديث وأصحاب معاجم اللغة، وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: صيغ ورود اللون في السنة النبوية الشريفة:

ورد لفظ اللون في السنة النبوية الشريفة في أكثر من موضع، منها: **عن سليم بن عامر، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺيقولون إن الله عز وجل لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول**

---

[1] دلالة اللون في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم رسالة ماجستير للباحث/ حمد محمد فتحي إلياس إشراف د/ميسر حميد سعيد كلية الآداب جامعة الموصل سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ص٢٣

الله، ذكر الله عز وجل في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى شجرة تؤذي صاحبها. قال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: " أليس الله عز وجل يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾(١) خَضَدَ الله عز وجل شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما فيه لون يشبه الآخر. (٢)

والمعنى: عن اثنين وسبعين نوعاً من الطعام، ولا شك أن تعدد الأنواع يؤدي إلى اختلاف ألوانها، أي هيئاتها التي ترى بالعين، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾(٣)

ومنها قوله ﷺ: ما من مَكْلُومٍ يُكْلَمُ في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمَ، وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللون لون دم، والريح ريح مسك. (٤)

---

(١) سورة الواقعة آية ٢٨

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم) باب (طعام أهل الجنة) حديث رقم ١٠٥ص١٠٥ تحقيق/عمرو عبد المنعم سليم ط/مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة دون تاريخ

(٣) سورة الزمر جزء من آية ٢١

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني كتاب (الذبائح والصيد) باب (المسك) حديث رقم ٥٥٣٣ ج٩ ص٧٩١ تحقيق/عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ط/دار الحديث بالقاهرة ط/الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ومسند الإمام أحمد حديث رقم ٨٩٨١ ج١٤ ص٥٣٥ تحقيق/شعيب الأرنؤوط وآخرين ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

وقد عبر النبيﷺ عن الحمرة بلفظ لون متبوعاً بما يجلي المراد منه، والمعنى: ما من مجروح يجرح إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم جرح، وجرحه يدمي فاللون أحمر ولكن الريح ريح المسك وليس بريح دم، والحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله تعالى.

ومنها قوله ﷺ: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته ، إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته لا إله إلا الله. [1]

فدلالة قوله (أشرق لها لونه) دلالة سرور وفرح وارتياح واستبشار، فالمعنى استنار وتلألأ لونه حسناً لما رأى ما يسره.

المطلب الثاني: ألوان البشر ليست معياراً للتفاضل أو نفي الأنساب

وذلك **في قوله ﷺ: يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمرعلى أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى.** [2]

فإذا كان اختلاف الألوان آية من آيات الله في خلقه كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[3] والتعرف على البشر يكون في غالب الأحيان من خلال

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ١٣٨٤ ج٣ ص٨ والمتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ١١٧ ج١ ص٤٦ تحقيق/ بكري حياني وصفوة السقا ط/مؤسسة الرسالة ط/الخامسة سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٢٣٤٨٩ ج٣٨ ص٤٧٤ والمتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ٨٥٠٢ ج٣ ص٦٩٩

[3] سورة الروم آية ٢٢

اللون إلا أن معيار التفاضل بين البشر لا يكون باللون، فلا يجوز لصاحب اللون الحسن أن يحتقر أصحاب الألوان الأخرى أو أن يقلل من شأنهم، لأن الرب واحد والأب واحد، فمعيار التفاضل بين جميع ألوان البشر التقوى والعمل الصالح كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] وفي الحديث إثبات تنوع ألوان البشر رغم أن الجميع من أب واحد وأم واحدة وأن المفاضلة بينهم بمقدار تفاوتهم في التقوى.

وهكذا ساوى النبي ﷺ بين العربي وغير العربي، والشرقي وغير الشرقي، والأفريقي والأوربي، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، والإنسان وغير الإنسان، ولئن كان التفاضل بين الناس عرباً وغير عرب مزية اجتماعية يحسب لها حسابها، فقد مقتها الإسلام في الأمة المحمدية، وأرسى قاعدة «كلكم لآدم» فالنبي ﷺ يعتبر البشرية جميعها أسرة واحدة، تنتمي إلى رب واحد وإلى أب واحد وإلى أرض واحدة، فلا تفاضل إلا بالتقوى. وبسبب هذا الكمال في العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، قامت للأمة الإسلامية وحدة لم تعرف الدنيا مثيلاً لها، ولم تكن حضارة على وجه الأرض أطهر وأنقى ولا أعدل وأكمل منها، كل ذلك بفضل امتزاج الدين الخالص بالحياة، وهيمنته على القلوب، فاحتوى العربيَّ وغيره، والأسود والأبيض، والغني والفقير، والمالك والمملوك، وأصبح الضامر رجلاً أو امرأة يسير من أقصى الدنيا قاصداً بيت الله الحرام لا يخشى على نفسه، آمناً مطمئناً في ظل الإسلام الوارف.

---

[1] سورة الحجرات جزء من آية ١٣

ودلت السنة على أنه لا يحل للرجل الانتفاء من ولده لمجرد مخالفة لونه للون والديه، **فعن أبي هريرةﷺ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال النبي ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم. قال: فأنى ترى ذلك؟ قال: نزعة عرق. قال: ولعل هذا نزعة عرق. ولم يرخص له في الانتفاء منه.** (١)

فهذا الأعرابي أحاطت به ظنون السوء فشك في امرأته حين ولدت غلاماً يخالف لون بشرته لون بشرة أبويه، ولما أشار عند النبي ﷺ إلى احتمال كون الولد ليس منه أزال عنه الرسول ﷺ هذه الشكوك فضرب المثل بالإبل الحمر يغلب عليها لون إحدى أصول نسبها فيأتي منها الأغبر، فكذلك المرأة البيضاء المتزوجة برجل أبيض يأتي منها بولد أسود لون أحد أجداده أو إحدى جداته، من قِبل أبيه أو أمه، فتباين لون الولد ووالديه له نظائر في الواقع، والأورق: الأسمر والورقة السمرة يقال جمل أورق وناقة ورقاء أي أسمر وسمراء، عرق نزعة أي أصل بمعنى جاء على أصل من أصوله.

دلالة الألوان: في ذكر الألوان في الحديث دلالة على أن اختلاف الألوان لا يوجب نفي نسبة الولد لأبيه، فالشبه لا يوجب ثبوت الأنساب وعدمه لا

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) باب (من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين وقد بيّن النبي حكمهما ليفهم السائل) حديث رقم ٧٣١٤ ج١٣ ص٣٥٩ وصحيح مسلم كتاب (اللعان) حديث رقم ١٥٠٠ ج٣ ص١١٣٧ تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ط/عيسى البابي الحلبي ودار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م

يوجب انتفاء الأنساب، فمخالفة الولد لأبيه في اللون لا يوجب نفياً له لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه بأنه يركب صورة الولد على ما يشاء من الصور لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾[1]

المطلب الثالث: الألوان الواردة في وصف النبي ﷺ ومن وصفه النبي ﷺ

فمن ذلك وصف أنس بن مالك للنبي ﷺ بقوله: كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم. [2]

ومعنى ربعة: أي مربوعاً وقد فسره بقوله: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ومعنى أزهر اللون: أبيض مشرب بحمرة، والزهرة لغة إشراق في اللون أي لون كان من بياض أو غيره، وأمهق: خالص البياض، وآدم: شديد السمرة، والمعنى: ليس بأبيض شديد البياض ولا شديد السمرة، بل كان يخالط بياضه الحمرة، ولا تعارض بين هذا الحديث في وصفه ﷺ وحديث أنس الآخر: **كان رسول الله ﷺ ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم،**

---

[1] سورة الانفطار آية ٦، ٧، ٨

[2] الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) حديث رقم ٣٥٤٧ ج٦ ص٦٨٨ وصحيح مسلم كتاب (الفضائل) باب (في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه) حديث رقم ٢٣٤٧ ج٤ ص١٨٢٤

أسمر اللون. [١] فمعنى أزهر اللون الذي يخالط بياضه حمرة، فليس بشديد السمرة، وهذا تفسير السمرة في هذا الحديث.

وجاء في وصفه ﷺ: قيل لعلي بن أبي طالب: انعت لنا رسول الله ﷺ، فقال: "كان أبيض مشرباً بياضه حمرة، قال: وكان أسود الحدقة، أهدب الأشفار. [٢]

ومعنى أسود الحدقة: شديد سواد العين، ومعنى أهدب الأشفار: جمع شفر بالضم وبفتح حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهي الهدب بالضم والأهدب كثيره ويقال لطويله أيضاً، أي: طويل شعر الأجفان كثيراً.

وجاء في وصفه ﷺ: عن أبي هريرة ﷺ ، قال: جاء أعرابي حتى انتهى إلى المسجد فعقل راحلته بباب المسجد ثم دخل المسجد فقال: أيكم، أو قال: أفيكم ابن عبد المطلب؟ يعني النبي ﷺ، فقالوا: هو هذا الأمغر المرتفق.[٣]

ومعنى الأمغر: الأبيض مشرب حمرة، والمرتفق: المتكئ على مرفقه.

---

[١] الحديث أخرجه الترمذي في سننه باب (ما جاء في الجُمَّة واتخاذ الشَّعر) حديث رقم ١٧٥٤ ج٣ ص٣٥٩ تحقيق/بشار عواد معروف ط/دار الغرب الإسلامي ط/الأولى سنة ١٩٩٦م

[٢] الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ج١ ص٢١٢، ٢١٣ ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٠٥هـ والمتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ١٨٥٦٤ ج٧ ص١٧٤

[٣] الحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب (وجوب الصيام) حديث رقم ٢٤١٥ ج٣ ص٩٢ تحقيق/ حسن عبد المنعم شلبي ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

وجاء في وصفه ﷺ في صحيح مسلم: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة، قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العين، منهوس العقبين. قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قال: قلت ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين، قال: قلت ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب.[1]

والشكلة في العين حمرة يسيرة تخالط بياض العين وهي مستحسنة محمودة.

وجاء في وصفه ﷺ: سئل أبو هريرة عن صفة النبي ﷺ، فقال: كان أحسن الناس صفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الجبين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين أهدب.[2]

ومعنى أكحل العينين: أي اسودت أجفان عينيه خلقة، ومعنى أهدب: طويل رموش العينين.

دلالة الألوان: إن الألوان الواردة في وصف النبي ﷺ كلها تدل على الكمال والجمال، فلقد كان أحسن الناس خلقة، وأجملها، فلا غرو أن يقول أحد الصحابة: فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر، فهو ليس خالص البياض ولا شديد السواد وإنما أبيض مشرب حمرة أي أزهر اللون، وهو شديد سواد العين طويل شعر الأجفان كثيراً، في عينيه حمرة

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الفضائل) باب (في صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه) حديث رقم ٢٣٣٩ ج٤ ص١٨٢٠

(2) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ج١ ص٢٧٥

يسيرة تخالط بياض العين، اسودت أجفان عينيه خلقة، كما أنه طويل رموش العينين.

وقد وصف النبي ﷺ عيسى عليه السلام فقال: بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم..... فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن مريم. (١)

ومعنى آدم أي أسمر، و من المعلوم أن السمرة ليست معياراً للقبح، بل إن الكثير من الرجال والنساء؛ المشربة بشرتهم بسمرة، تجدهم على قدر عال من الجمال، بل هي من أعظم صفات الجمال عند الكثير من الناس، فدلالة اللون هنا دلالة جمال وليس قبح وهي في الرسل كمال، **وفي حديث الإسراء قال النبي ﷺ: ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس.** (٢)

ومعنى ربعة: أي مربوع الخلق، أي بين الطول والقصر، مائلاً لونه إلى الحمرة، والديماس هو السرب وقيل: الكن وقيل: الحمام، أي كأنه لم ير شمساً، ويجمع بين الحديث في وصف لونه بالحمرة، وفي الحديث السابق بالسمرة، بأنه ليس المراد حقيقة الأدمة ولا الحمرة، وإنما المراد ما قاربها،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) حديث رقم ٣٤٤١ ج٦ ص٥٨٨ وصحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال) حديث رقم ١٧١ ج١ ص١٥٦

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) حديث رقم ٣٤٣٧ ج٦ ص٥٨٥ وصحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات) حديث رقم ١٦٨ ج١ ص١٥٤

فلون عيسى عليه السلام مائل إلى السمرة غير الشديدة والحمرة، فهو في غاية الإشراق والنضارة، ودلالة اللون هنا دلالة إشراق ونضارة وجمال وكمال.

وقد وصف النبي سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام، **فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزُّطِّ.** (١)

فمعنى أحمر: أبيض مشرب بحمرة. وجعد: في شعره انثناء. وآدم: فيه سمرة. وجسيم: كثير اللحم وقيل الجسامة هنا باعتبار الطول. وسبط: هو خلاف الجعد. والزط: جنس طوال من السودان، وقيل: هم نوع من الهنود، وهم طوال الأجسام مع نَحَافة فيها، فقد وصف عيسى ببياض اللون فيه حمرة، ووصف موسى بالسمرة.

وقد وصف النبي ﷺ المسيح الدجال ببعض الألوان، منها ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ قال في وصف الدجال: رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور كأن عينه عنبة طافية. (٢)

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) حديث رقم ٣٤٣٨ ج٦ ص٥٨٥

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) حديث رقم ٣٤٤١ ج٦ ص٥٨٨ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ٣٢٣٤٨ ج١١ ص٥٠٢

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: أعور هِجَانٌ أزهر كأن رأسه أَصَلَةٌ أشبه الناس بعبد العزى بن قَطَنٍ فإما هَلَكَ الْهُلَّكُ فإن ربكم تعالى ليس بأعور. (١)

ومعنى الهجان: الأبيض، وقريب منه الأزهر، وقيل: الأزهر هو الأبيض المستنير، أو الأبيض المشرب بحمرة؛ ولذا فلا تناقض بين هذا الحديث وسابقه في كون لونه أحمر، فإن الأبيض يشرب بحمرة، فيوصف بهذا وهذا، ومنها قولهم في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: الحميراء يعني: البيضاء، والأصَلَة: الحيّة الضخمة العظيمة أو القصيرة، والعرب يشبهون الرأس إذا كان صغير الحجم وكثير الحركة بالحية، وفي حديث ثالث يشبه النبي ﷺ عين المسيح الدجال الخضراء كالزجاجة، **فعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: " عينه خضراء كالزجاجة.** (٢)

ودلالة الخضرة في العين هنا دلالة عيب فيها، فجميع الروايات التي وصفت عينيه كلتاهما بالعور روايات صحيحة، فالعور معناه في اللغة: العيب، وعينا الدجال معيبتان كلتاهما، فقد ورد أن العوراء هي اليمنى، وورد أن العوراء هي اليسرى، وورد أن إحداهما طافئة بالهمز، أي: لا ضوء فيها، وورد أن الأخرى طافية بلا همزة، أي ظاهرة ناتئة، فعيناه على ما حققه

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٢١٤٨ ج٢ ص٥٤٤ وهو في صحيح ابن حبان حديث رقم ٦٧٩٦ ج١٥ ص٢٠٧ تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٢١١٤٦ ج٣٥ ص٨٣

النووي إحداهما لا يرى بها لذهاب نورها وهذه ممسوحة غير ناتئة ولا غائرة، والأخرى لم يذهب نورها ولكنها معيبة بعيب آخر وهو ظهورها وبروزها. [١]

وتشبيه عينه بالزجاجة لا ينافي تشبيهها في حديث سابق بالعنبة الطافية، فإن كثيراً ممن يحدث في عينه النتوء يبقى معه الإدراك وتصير عينه تميل إلى الخضرة. [٢]

وقد بين النبي سبب تسميه الخضر بهذا الاسم **فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء.** [٣]

ومعنى: فروة: هي قشرة وجه الأرض. وبيضاء: يابسة ليس فيها نبت. وخضراء: لما نبت فيها من عشب أخضر، فالذي حدد اللون الأبيض والأخضر هنا وجود العشب الأخضر، وقيل في سبب تسميته بالخضر: سمي به لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، قاله مجاهد. وقال الخطابي: إنما سمي به لحسنه وإشراق وجهه، وعلى كلٍ فدلالة اللون الأخضر دلالة إشراق وضياء وجمال، واللون الأخضر لون التفاؤل وارتياح النظر، لا

---

[١] ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ج٢ ص٢٣٥ ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت ط/الثانية سنة ١٣٩٢هـ

[٢] التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج٢ ص١٠ ط/مكتبة الإمام الشافعي بالرياض ط/الثالثة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

[٣] الحديث أخرجه البخاري في صحيحيه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) حديث رقم ٣٤٠٢ ج٦ ص٥٢٦

يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحة وجمالاً، ويوحي اللون الأخضر بالارتياح النفسي والاطمئنان القلبي والنعيم المقيم.

المطلب الرابع: الألوان التي ظهرت على وجه النبي ﷺ لحدوث أمر عارض

لقد تغير وجه النبي ﷺ حين انتهكت حرمات الله، **فعن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مستترة بقِرام فيه صورة تماثيل، فتلون وجهه، ثم أهوى إلى القرام ، فهتكه بيده،ثم قال:إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل.** (١)

ومعنى مستترة: متخذة ستراً، والقرام: الستر الرقيق من صوف ذو ألوان فيه رقم ونقش، وقيل: ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به كالشراشف الحالية والبطانيات، وقولها: فتلون وجهه: أي تغير وجهه غيظاً حين ساءه ما رأى، وهذا كناية عن غضبه ﷺ وكان من غضبه لله تعالى، وورد **عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك. فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار ثم أرسل الماء إلى جارك، واستوعب للزبير حقه وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير:**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب (ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى) حديث رقم ٦١٠٩ ج٨ ص٦٢٣ وصحيح مسلم كتاب (اللباس والزينة) باب (تحريم تصوير صورة الحيوان .....) حديث رقم ٢١٠٧ ج٣ ص١٦٦٧

فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[1].[2]

وقوله: تلون وجهه أي: تغير من الغضب لانتهاك حرمات النبوة وقبح كلام هذا الإنسان، وأظهر النبي في وجهه أثر الغضب ليكون أوكد في الزجر عما هو منهي عنه، وهو غضب لله تعالى، فدلالة تلون الوجه في هذين الحديثين دلالة غضب لله تعالى، حتى يكون ذلك تأكيداً للزجر فلا يقرب الأمر المنهي عنه أحد من هذه الأمة، كما ورد عن النبي ﷺ أنه تمعر وجهه، **فعن ابن مسعود ﷺ قال: قسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار والله ما أراد محمد بهذا وجه الله فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعر وجهه وقال(رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)**[3]

ومعنى تمعَّر وجهه: انقبض وتغير لونه من الغضب وعلته صفرة، والأصل في التمعر قلة النضارة وعدم إشراق اللون من قولهم: مكان أمعر، وهو الجدب الذي لا خصب فيه، ويروى: فتمغر بالغين المعجمة أي صار لونه لون المغرة، كما ورد **عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يكثر ذكر خديجة، قلت: لقد أخلفك الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، فتمعر**

---

[1] سورة النساء جزء من آية ٦٥

[2] الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (التفسير) باب (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) حديث رقم ٤٥٨٥ ج٨ ص٣١٤وصحيح مسلم كتاب (الفضائل) باب (وجوب اتباعه ﷺ) حديث رقم٢٣٥٧ ج٤ ص١٨٢٩، ١٨٣٠

[3] الحديث أخرجه البخاري ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب (من أخبر صاحبه بما يقال فيه) حديث رقم ٦٠٥٩ ج١٠ ص٥٧٣

وجهه ﷺ تمعراً ما كنت أراه منه إلا عند نزول الوحي، وإذا رأى المخيلة حتى يعلم أرحمة أو عذاب. [١]

فتغير وجه النبي ﷺهنا لسماعه ما يسوء خديجة بعد وفاتها وهذا يصور مقدار غضب رسول الله ﷺ لخديجة وحفظه حقها؛ ولذا نجد أن النبي ﷺ يظهر الحفاوة بامرأة كانت تأتيهم زمن خديجة ويبين أن حفظ العهد من الإيمان، ومما ظهر على وجه النبي من التغير عند نزول الوحي من التربد، **فعن عبادة بن الصامت، أن النبي ﷺ كان: إذا نزل عليه الوحي كرب له، وتربد وجهه.** [٢]

فمعنى كرب: أصابه الكرب فهو مكروب، والكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس والمستكن في كرب إما للنبي ﷺ يعني كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن أخذه غم أو لخوف ما عساه يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد أو الوحي بمعنى اشتد فإن الأصل في الكرب الشدة، وتربد: أي تغير وصار لونه كالرماد، وهذا من الغضب إذا تعبس وتغير من الربدة وهو أن يضرب إلى الغبرة، وسبب الرُّبْدة التي تصيبه عند نزول الوحي ما يجده من شدة وكرب عند نزول الوحي عليه؛ ولذا علق النووي على هذا بقوله: وتربد وجهه: أي علته غبرة والربد تغير البياض إلى السواد وإنما حصل له ذلك لعظم موقع الوحي قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[٣]. [٤]

---

[١] الحديث في صحيح ابن حبان حديث رقم ٧٠٠٨ ج١٥ ص٤٦٨

[٢] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي) حديث رقم ٢٣٣٤ ج٤ ص١٨١٧

[٣] سورة المزمل آية ٥

[٤] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١١/ ١٩٠

وفي حديث آخر **عن يعلى بن أمية ﷺ قال واصفاً وجه النبي ﷺ حين نزل عليه الوحي: فإذا النبي ﷺ مُحْمَرُّ الوجه ، يَغِطُّ ساعة ، ثم سُرِّيَ عنه.** (١)

ولا تعارض بين ملامح وجه النبي حين نزل عليه الوحي في هذا الحديث بأنه محمر الوجه وبين سابقه بأنه تربد أي صار كالرماد وعلته غبرة، وقد بين ذلك النووي حين قال: ومعنى تربد أي تغير وصار كلون الرماد، وفي ظاهر هذا مخالفة لما سبق في أول كتاب الحج في حديث المحرم الذي أحرم بالعمرة وعليه خلوق وأن يعلى بن أمية نظر إلى النبي ﷺ حال نزول الوحي وهو محمر الوجه، وجوابه أنها حمرة كدرة وهذا معنى التربد وأنه في أوله يتربد ثم يحمر أو بالعكس. (٢)

وقد ظهر الاحمرار على وجه النبي ﷺ في مواطن أخرى حينما كان يغضب، **فعن زيد بن خالد الجُهَنِيّ ﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة، قال: عرفها سنة، ثم اعرف وكاءها وَعِفَاصَهَا، ثم استنفق بها، فإن جاء ربها، فأدها إليه، قالوا: يا رسول الله، فَضَالَّةُ الغنم؟ قال: خذها، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب، قال: يا رسول الله، فَضَالَّةُ الإبل؟ قال:**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الحج) باب (غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب) حديث رقم ١٥٣٦ ج٣ ص٤٧٩، ٤٨٠ وصحيح مسلم كتاب (الحج) باب (ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه) حديث رقم ١١٨٠ ج٢ ص٨٣٧

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥/ ٨٩

فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، أو احمر وجهه، ثم قال: ما لك ولها معها حذاؤها، وسقاؤها، حتى يلقاها ربها. (١)

فاحمرار الوجنة أو الوجه إنما كان من النبي ﷺ بسبب غضبه، فدلالة اللون الأحمر هنا دلالة غضب وانفعال من النبي ﷺ، وقد احمرت عينا النبي ﷺ في موقف آخر حين كان على المنبر يخطب، **فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ.** (٢)

وإنما احمرت عينا النبي ﷺ لتأثره بما يقول أو من شدة الغضب والتفاعل مع الخطبة، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً وتحذيره خطباً جسيماً، أو أنه عند نهيه عن أمر خولف فيه شرعه، أو يريد

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (اللقطة) باب (إذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة ردها عليه لأنها وديعة عنده) حديث رقم ٢٤٣٦ ج٥ ص١١٢، ١١٣ وصحيح مسلم كتاب (اللقطة) حديث رقم ١٧٢٢ ج٣ ١٣٤٨ وهو في سنن أبي داود كتاب (اللقطة) حديث رقم ١٧٠١ ج٢ ص٣٩٣ تحقيق/محمد عوامة ط/دار القبلة للثقافة الإسلامية بالسعودية ومؤسسة الريان ببيروت والمكتبة المكية بمكة المكرمة ط/الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ومعنى الوجنة: ما ارتفع من الخدين، والوكاء : الخيط الذى تشد به الصرة والكيس وغيرهما، والعفاص: الوعاء الذي يكون فيه النفقة، واستنفق: أي استعملها في نفقتك، وحذاؤها وسقاؤها: أي خُفها وجوفها، أو عنقها، يشير إلى استغنائها عن الحفظ لها بما رُكِّب في طباعها من الجلادة عن العطش وتناول المأكول بغير تعب.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (تخفيف الصلاة والخطبة) حديث رقم ٨٦٧ ج٢ ص٥٩٢ وابن ماجة في سننه باب (اجتناب البدع والجدل) حديث رقم ٤٥ ج١ ص٢١

أن صفته صفة الغضبان عند إنذاره، كما لو حذرهم من مخالفة شرعية ظهرت منهم، فتحمر عيناه ويعلو صوته تنبيهاً على خطورة الأمر، حتى يكون ذلك أبلغ في التأثير عليهم، هذا حكم المنذر والواعظ والمذكر أن تكون حركاته وحالاته في وعظه بحسب الفصل الذى يتكلم فيه ومَطابق له، حتى لا يأتي بالشيء وضده.

دلالة الألوان: من الملاحظ هنا أن دلالة تغير وجه النبي ﷺ دلالة غضب وانفعال وتأثر، فدلالة تلون وجه النبي ﷺ دلالة غضب لانتهاك حرمات الله، ليكون ذلك أوكد في الزجر عما نهي عنه، ودلالة تمعر وجه النبي ﷺ أي انقباضه وتغير لونه وعدم إشراقه دلالة غضب حين يسمع ما يسوؤه ويسوء زوجه خديجة بعد وفاتها، وذلك وفاء لحقها، ودلالة تربد الوجه أي تغيره وصيرورته كالرماد أو أن يكون أقرب إلى الغبرة دلالة شدة وكرب وذلك لما أصاب النبي ﷺ عند نزول الوحي من عظم موقع الوحي، ودلالة احمرار الوجه دلالة شدة وكرب عند نزول الوحي أو دلالة غضب وانفعال، ودلالة احمرار العين دلالة تأثر وتفاعل عند إلقاء الخطبة أو من شدة الغضب حتى يكون أوكد في التحذير من أمر منهي عنه.

المطلب الخامس: دلالة الألوان في وصف الدنيا والمرأة والملة والحنطة.

فعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: ألا إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله عز وجل مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. (١)

فقد أخبر ﷺ في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والذائقين. بأنها حلوة خضرة يعم أوصافها التي هي عليها، فهي حلوة في مذاقها وطعمها، ولذاتها وشهواتها فهي لذيذة حسنة، خضرة في رونقها وحسنها الظاهر فهي ناعمة طرية محبوبة، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٣) وعلى هذا نجد أن دلالة اللون الأخضر في هذا الحديث دلالة نضارة ورونق وحسن، ففي وصف الدنيا بالخضرة هنا احتمالان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذلك الدنيا، والثاني: سرعة فنائها فهي كالشيء الأخضر من هاتين الحيثيتين، فالدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها، كالثمر المُستحلَى المعجب المرأى، وخضرتها عبارة عن نضارتها،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الرقاق) باب (أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء) حديث رقم ٢٧٤٢ ج٤ ص٢٠٩٨

(٢) سورة آل عمران آية ١٤

(٣) سورة الكهف آية ٧

وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس مُزيَّنة للناظرين، وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي كل شيء مشرق ناضر ناعم أخضر، أو لشبهها بالخضراوات في ظهور كمالها وسرعة زوالها، وفي الحديث بيان أن الدنيا غدّارة مكّارة سحّارة تفتن الناس بلونها وطعمها، وتوضيحه أن الدنيا طيبة مليحة في عيون أربابها وقلوب أصحابها لا يشبعون من جمع المال، ولا من سعة الجاه، وكثرة الإقبال وطول الآمال، وفيه إيذان بشدة انجذاب النفوس إليها، لأن كلا من هذين الوصفين تميل إليه النفوس الناقصة. [1]

وفي معنى هذا الحديث ورد قول النبي ﷺ: إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فمن أخذه بِطِيبِ نَفْسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، فكان كالذي يأكل، ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى. [2]

وقوله (خضرة) أنث على تأويل الغنيمة بدليل قوله من مال الله، ويحتمل ما هو أعم من ذلك، وقوله خضرة أي مشتهاة والنفوس تميل إلى ذلك، ومعناه أن صورة الدنيا حسنة مونقة والعرب تسمي كل شيء مشرق

---

[1] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ج٨ ص٣٢١٦ ط/دار الفكر ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

[2] الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الرقاق) حديث رقم ٦٤٤١ ج١١ ص٣٠٢، ٣٠٣ وصحيح مسلم كتاب (الزكاة) باب (بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح) حديث رقم ١٠٣٥ ج٢ ص٧١٧والترمذي في سننه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع حديث رقم ٢٤٦٣ ج٤ ص٢٥٠ وأحمد في مسنده حديث رقم ١٥٥٧٤ ج٢٤ ص٣٤١ وهو في المصنف لابن أبي شيبة حديث رقم ٣٥٥٢٤ ج١٩ ص١٠٢ تحقيق/محمد عوامة ط/دار القبلة دون تاريخ

ناضر أخضر... وخضرة حلوة ليس هو صفة المال وإنما هو للتشبيه كأنه قال المال كالبقلة الخضراء الحلوة، أو التاء في قوله خضرة وحلوة باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا، أو على معنى فائدة المال أي أن الحياة به أو العيشة، أو أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زينتها، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].[2]

ويحتمل أنه شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء. [3]

وهكذا يتضح دلالة اللون الأخضر هنا دلالة رغبة وميل وحرص للنفوس على المال كالفاكهة الخضراء المستلذة، كذلك دلالة فناء وليس بقاء، وهذا يظهر في اللون الأخضر فالعرب تطلق على كل شيء ناضر مشرق أخضر، كما أن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء فهي سريعة الفناء.

وقد جاء وصف المرأة بلون الخضرة فعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: قال: إياكم وخضراءَ الدِّمن. قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء. [4]

---

[1] سورة الكهف جزء من آية ٤٦

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٢٨٧

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٧/ ١٢٦

[4] الحديث في مسند الشهاب القضاعي حديث رقم ٩٥٧ ج٢ ص٩٦ تحقيق/حمدي بن عبد المجيد السلفي ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م وفي ==

والدمن: مطارح الزبالة وما يستقذر، فقد ينبت فيها ما يستحسنه الرائي. ونلاحظ في هذا الحديث روعة البيان النبوي في التعبير عن المرأة الحسناء في المنبت السوء بخضراء الدمن وهي الشجرة الخضراء في دمنة البعر، شبهها بالبقلة الخضراء في دمنة أرض خبيثة لأن الأصل الخبيث يحن إلى أصله، فتجئ أولادها لأصلها في الغالب، فللمنبت شأن كبير في الزواج وفي أخلاق الولد، فلا قيمة للمرأة الحسناء إذا كانت من بيت سوء.

يقول أبو عبيد: " أراه أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رشدة، وهذا مثل حديثه الآخر: تخيروا لنطفكم. وإنما جعلها خضراء الدمن تشبيهاً بالشجرة الناضرة في دمنة البعر، وأصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها فربما نبت فيها النبات الحسن، وأصله في دمنه يقول: فمنظرها حسن أنيق ومنبتها فاسد. " [1]

وفي التصوير القرآني: " ولهذا حذر النبي ﷺ من خضراء الدمن، فقال: "إياكم وخضراء الدمن"، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: "المرأة الحسناء في المنبت السوء"، ومصدر الخطورة أنها تجمع بين ضررين كبيرين بالنسبة للرجل، أحدهما: الجمال الفاتن والمجرد من الدين والخلق، وفي هذه الحالة لا تنضبط الشهوة معها، فتكون نهاية الزوج كنهاية المدمن في الخمر، فيغيب عقله ويفنى جسده معاً. وثانيهما: سوء الخلق، فلا ترضى به وعنه إلا

==

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي حديث رقم ٤٥٦٢٠ ج١٦ ص٤٩٦

[1] غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ج٣ ص٩٩ تحقيق د/محمد عبد المعيد خان ط/مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ط/الأولى سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م

إذا كان على شاكلتها، ويناظرها في سوء الخلق، ويجاريها في وقاحتها، فيكون تابعاً لها، بل أشد منها، لكونه إمعة لا إرادة له ولا شخصية. " [١]

وقد وصفت الملة الحنيفية بالبيضاء فعن جابر، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب، وقال: أَمُتَهَوِّكُونَ[٢] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى كان حياً اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني. [٣]

فدلالة بيضاء هنا دلالة وضوح وصفاء، فالمعنى: جئتكم بالملة الحنيفية ظاهرة، واضحة، صافية، خالصة، خالية عن الشرك والشبهة، وقيل: المراد أنها مصونة عن التبديل والتحريف والإصر والأغلال خافية عن التكاليف الشاقة، وأشار بذلك إلى أنه أتى بالأعلى والأفضل، واستبدال الأدنى بالأعلى مظنة التحير، ووصف الملة بالبياض تنبيهاً على كرمها وفضلها، وكَرَمَها إفادتُها كل مايحتاج إليه لأن البياض لماكان أفضل لون عند العرب عبر به عن الكرم والفضل.[٤]

---

[١] التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية لعلي علي صبح ص٢٤٨ ط/المكتبة الأزهرية للتراث دون تاريخ

[٢] معنى متهوكون: متحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم، كما تهوكت اليهود والنصارى، أي كتحيرهم، حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٢٦٣)

[٣] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥١٥٦ ج٢٣ ص٣٤٩

[٤] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٢٦٣

وقد جاء نفس الوصف للملة الحنيفية في حديث آخر فعن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. [1]

فالمراد بالبيضاء: الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلاً، واللون هنا (البيضاء) صفة لمحذوف تقديره الجادة البيضاء، والمراد من الجادة وسط الطريق والطريق الأعظم الذي يجمع الطرق، ووصفها بالبيضاء لوضوحها وجلائها لسالكها، والمراد من قوله: ليلها كنهارها: دوام البياض، أي: لا خفاء فيها ولا لبس، فشريعته ﷺ لا تحتاج إلى تتمة ولا تفتقر إلى زيادة.[2]

وقد وصف النبي الحنطة بالسمراء **فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: من اشترى شاة مُصَرَّاةً فَرَدَّهَا، رد معها صاعاً من طعام، لا سَمْرَاءَ.** [3]

---

[1] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٧١٤٢ ج٢٨ ص٣٦٧ وابن ماجة في سننه باب(اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) حديث رقم ٤٣ ج١ ص١٦

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ /١٩٣ وفيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي ج٤ ص٥٠٦ ط/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط/الأولى سنة ١٣٥٦هـ

[3] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البيوع) باب (حكم بيع المصراة) حديث رقم ١٥٢٤ ج٣ ص١١٥٨ والتصرية: هو من صريت الشاة: إذا لم تحلبها أياماً حتى اجتمع اللبن في ضرعها.

فقد استثنى النبي من الطعام نوعاً من النباتات ذوات الحب (السمراء)، والسمراء اسم من أسماء الحنطة الشامية وهي كانت أغلى ثمناً من البر الحجازي، وإنما سميت بذلك لكون لونها السمرة، والسمرة لون في منزلة بين البياض والسواد، فكأنه ﷺ أمر برد الصاع من البر الحجازي لأن البر الشامي لكونه أغلى ثمناً قصد التخفيف عليهم.

المطلب السادس: دلالة اللون الأخضر والأبيض على النعيم

فقد تبين لنا من خلال دراسة دلالة الألوان في الآيات القرآنية أن اللون الأخضر يدل على النعيم لما يحمل من معاني الراحة والصفاء والنفس تنبسط للخضرة أكثر من غيرها؛ ولذلك جعل الله لباس أهل الجنة وفرشهم خضراء لكون الأخضر أحسن الألوان وأبهجها فقال: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[1] وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[2]

ودلالة هذا اللون أيضاً في الحديث النبوي الشريف على نعيم أهل الجنة، **فعن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تَلٍّ، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حُلَّةً خضراءَ، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود.** [3]

---

[1] سورة الكهف جزء من آية ٣١

[2] سورة الرحمن آية ٧٦

[3] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٧٨٣ج٢٥ ص٦٠ والحلة: إزار ورداء من جنس واحد

فالنبي يكسى حلة خضراء يوم القيامة حين يقوم الناس مقاماً يحمده فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة العظمى المذكور في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً*وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1]

فالحلة التي يكساها النبي ﷺ يوم القيامة لونها خضراء، لأن هذا اللون يسر الناظرين ويبهج قلوب المؤمنين، فدلالة هذا اللون هنا دلالة نعيم لما يحمل من معنى السرور والابتهاج والصفاء والراحة والتفاؤل وارتياح النظر، لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحة وجمالاً، وهو أعدل الألوان وأنفعها عند البصر.

ولأن اللون الأخضر أبهج للنفس متع به الشهداء على باب الجنة فقد أخبرنا النبي ﷺ عن قبة خضراء تكون فيها أرواح الشهداء في البرزخ، **فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشياً.** [2]

والمراد بقوله على بارق نهر بباب الجنة: الموضع الذي يبرق منه النهرُ الذي بباب الجنة ويظهر، والقُبَّة : البناء المستدير المُقَوَّس المُجَوَّف، فقد أخبر النبي ﷺ أنه مقرهم على النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى

---

[1] سورة الإسراء آية ٧٨، ٧٩

[2] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٢٣٩٠ ج٤ ص٢٢٠ وابن حبان في صحيحه حديث رقم ٤٦٥٨ ج١٠ ص٥١٥

سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، ولعل اختيار اللون الأخضر هنا للنعيم لما له من دلالة السرور والابتهاج والصفاء والراحة والتفاؤل وارتياح النظر، فلا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحة وجمالاً؛ ولهذا السبب أيضاً كان اختيار اللون الأخضر في حديث النبي ﷺ عن أرواح الشهداء، **فعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: أرواح الشهداء طير خضر يعلق في شجر الجنة.** (١)

وإذا ما انتقلنا إلى نعيم آخر للمؤمنين ثابت بالسنة وهو نعيم المؤمنين في قبورهم، فقد ورد اللون الأخضر في هذا النعيم لما له من دلالة في نفوس المؤمنين وهي دلالة الراحة والابتهاج والسرور والجمال، فقد أخبر النبي ﷺ بروضة ذات لون أخضر يكون فيها المؤمن إذا قبر، **فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء وَيُرَحَّبُ له قبره سبعون ذراعا وَيُنَوَّرُ له كالقمر ليلة البدر.** (٢)

وكما أن اللون الأخضر له دلالة على النعيم للمؤمنين في الجنة وفي قبورهم، كذلك ورد اللون الأبيض في نعيم المتقين عند الموت ويوم القيامة، وذلك لما في هذا اللون من دلالة النقاء والصفاء والصدق والأمانة والسلام والخير النقاء والصفاء والصدق والأمانة والسلام والخير مما يبعث في النفس الطمأنينة وراحة البال، وهو لون جميل يصور البهجة والبشرى.

---

(١) الحديث ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ج٣ ص٩٠ تحقيق/سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم ٣١٢٢ ج٧ ص٣٩٢ ومعنى يرحب: يوسع.

وقد ورد في أحاديث النبي ﷺ هذا اللون في نعيم المؤمنين عند الموت، ومن ذلك إتيان ملائكة الرحمة للمؤمن عند احتضاره في صورة حسنة تسره ويدل عليها بياض وجوههم تبشره بالخيرات وحصول المسرات، **فعن البراء بن عازبﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.** (١)

فإذا كان بياض وجوههم دليل على المسرة وحصول النعيم والبشرى بالخير، فإنه في المقابل يكون سواد الوجوه دليل على الحزن والكآبة والعذاب والبشرى بالشر وسخط الله وغضبه، وهذا ما عناه النبي ﷺ في الجزء الثاني من الحديث حين قال: **وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب.** (٢)

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٨٥٣٤ ج٣٠ ص٤٩٩

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٨٥٣٤ ج٣٠ ص٥٠١

ومن نعيم المؤمنين يوم القيامة بياض ماء نهر الكوثر الذي أعطاه الله تبارك وتعالى لنبيه في الجنة وهو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1]، وقد وصفه النبي ﷺ **فعن أنس، أن النبي ﷺ سئل عن الكوثر، فقال: نهر أعطانيه ربي، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وفيه طير كأعناق الجُزُر.** [2]

وفي رواية أخرى **عن أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال : هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه المسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة، فقال: آكلها أنعم منها.** [3]

فقد وصف النبي ماء نهر الكوثر بالبياض الناصع، لما يوحي هذا اللون بجمال المنظر وشدة الصفاء والنقاء وهو لون تستريح له النفس وتسر له العين ويرتاح له القلب ومن ثم كان دليلاً على النعيم لأهل الجنة يوم القيامة.

ومن تكريم الله سبحانه وتعالى لنبيه في أرض المحشر حوض واسع يأتيه ماؤه الطيب من نهر الكوثر الذي أعطيه النبي في الجنة، وقد سمي بحوض الكوثر، وقد وصف النبي لون مائه **بالبياض الشديد فعن ثوبان ﷺ سئل**

---

[1] سورة الكوثر آية ١

[2] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٣٣٠٦ ج٢١ ص٣٠ والجزر: جمع جزور

[3] الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٣٤٧٥ ج٢١ ص١٣٢

النبي ﷺ عن شراب حوضه فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يَغُتُّ فيه ميزابان يَمُدَّانِهِ من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق.[1]

وفي رواية أخرى **قال النبي ﷺ: حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا.** [2]

فقد امتن الله تبارك وتعالى على نبيه بهذا الحوض، ولما كان اللون الأبيض أجمل الألوان لما يرمز إليه من النقاء والصفاء والراحة والجمال نُعّم به النبيﷺ.

وثبت عن النبي تحديد لون تربة الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين، **فعن أبي سعيد الخدري، أن ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: دَرْمَكَةٌ بيضاء مسك خالص.**[3]

فتربة الجنة ليست كتربة الدنيا، فهي بيضاء في الصفاء والنقاء تسر الناظرين وتبهج المؤمنين وتمتع المتقين، فلونها يدل على نعيمها، فهي في

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته) حديث رقم ٢٣٠١ ج٤ ص١٧٩٩ ومعنى يغت: يدفقان فيه الماء دفقاً شديداً متتابعاً، قالوا: وأصله من اتباع الشيء الشيء، وقيل: يصبان فيه دائماً صباً شديداً، ومعنى يمدانه: يزيدانه ويكثرانه، والميزاب: قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء من سطح بناء أو موضع عال.

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الرقاق) باب (في الحوض) حديث رقم ٦٥٧٩ ج١١ ص٥٥٠

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفتن وأشراط الساعة) باب (ذكر ابن صياد) حديث رقم ٢٩٢٨ ج٤ ص٢٢٤٣

البياض درمكة (والدرمك: الدقيق الأبيض الخالص البياض) وفي الطيب مسك، وهنا نلحظ دلالة اللون الأبيض على النعيم.

وجاء اللون الأبيض في وصف قصر سيدنا عمر ﷺ، **فعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، قال: وسمعت خشفا أمامي، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال، قال: ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية، قال: قلت لمن هذا القصر؟ قال: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فأنظر إليه. قال: فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أوعليك أغار؟.** (١)

فدلالة بياض القصر دلالة إشراق وضياء ونور وهو دليل على النعيم المُعد للفاروق عمر ﷺ.

المطلب السابع: مسائل متفرقة في ألوان ذكرت في السنة المشرفة

أولاً: ألوان ملابس النبي ﷺ وبعض دوابه:

فقد لبس النبي ﷺ الأبيض من الثياب، **فعن أبي ذر ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم.** (٢)

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب عمر ابن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ) حديث رقم ٣٦٧٩ ج٧ ص٥١ وصحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل عمر ﷺ) حديث رقم ٢٣٩٤ ج٤ ص١٨٦٢ ومسند أحمد حديث رقم ١٥٠٠٢ ج٢٣ ص٢٤٧ والنص له.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (اللباس) باب (الثياب البيض) حديث رقم ٥٨٢٧ ج١٠ ص٣٤٢ ==

كما لبس ﷺ الثياب السود، **فعن عائشة أن النبي ﷺ لبس بردة سوداء، فقالت عائشة: «ما أحسنها عليك يا رسول الله، يشوب بياضك سوادها، ويشوب سوادها بياضك، فبان منها ريح، فألقاها، وكان يعجبه الريح الطيبة.** (١)

وعن جابر، أن النبي ﷺ: " دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. (٢)

وعن عمرو بن حريث أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء. (٣)

وكان للنبيﷺ بردان أخضران، **فقد قال أبو رِمثة : أتيت النبي ﷺ وعليه بردان أخضران.**(٤)

==

وصحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار) حديث رقم ٩٤ ج١ ص٩٥

(١) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم ٦٣٩٥ ج١٤ ص٣٠٥

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (جواز دخول مكة بغير إحرام) حديث رقم ١٣٥٨ ج٢ ص٩٩٠ وأحمد في مسنده حديث رقم ١٤٩٠٤ ج٢٣ ص١٧٨

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (جواز دخول مكة بغير إحرام) حديث رقم ١٣٥٩ ج٢ ص٩٩٠ وأبو داود في سننه كتاب (اللباس) باب (في العمائم) حديث رقم ٤٠٧٤ ج٤ ص٤١١ وأحمد في مسنده حديث رقم ١٨٧٣٤ ج٣١ ص٣٢

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في (أبواب الأدب) باب (ما جاء في الثوب الأخضر) حديث رقم ٢٨١٢ ج٤ ص٥٠٤، ٥٠٥ والنسائي في سننه كتاب (صلاة العيدين) باب (الزينة للخطبة) حديث رقم ١٧٩٤ ج٢ ص ٣٠٥ وأحمد في مسنده حديث رقم ١٧٤٩٤ج٢٩ ص٤٠

وعن يعلى بن أمية قال: طاف النبى ﷺ مُضْطَبِعًا ببرد أخضر. [1]

ومن ألوان ملابس النبي ﷺ الحمرة، **فعن أبي جُحيفة ﷺ قال: فخرج النبي ﷺ عليه حُلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه.** [2]

وقال البراء بن عازب ﷺ يصف النبي ﷺ: رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه.[3]

فلبس النبي الأبيض والأسود والأخضر والأحمر من الثياب دليل على جواز لبس هذه الثياب.

---

[1] الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب (المناسك) باب (الاضطباع في الطواف) حديث رقم ١٨٧٨ ج٢ ص٤٧٥ وابن عبد البر في الاستذكار باب (النهي عن الأكل بالشمال) حديث رقم ٣٩٤٧٦ ج٢٦ ص٢٤٩ ومعنى ببرد: أي: يماني، أخضر: أي: فيه خطوط خضر، والضبع: وسط العضد، وأطلق على الإبط، والاضطباع: أن يجعل وسط ردائه تحت الإبط الأيمن، ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره، وظهره، سمي بذلك لإبداء الضبعين، فالاضطباع هو إعراء منكبه الأيمن وجمع الرداء على الأيسر.

[2] الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الصلاة) باب (الصلاة في الثوب الأحمر) حديث رقم ٣٧٦ ج١ ص٦٠٦ وصحيح مسلم كتاب (الصلاة) باب (سترة المصلي) حديث رقم ٥٠٣ ج١ ص٣٦٠

[3] الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) حديث رقم ٣٥٥١ ج٦ ص٦٩٢ وصحيح مسلم كتاب (الفضائل) باب (صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً)حديث رقم ٢٣٣٧ ج٤ ص١٨١٨ والحلة: ثوبان ولا يكون واحداً، وهما إزار ورداء ونحوهما.

وذكر الصحابة لون بغلة النبي ﷺ التي خطب عليها بمنى، **فعن رافع بن عمرو المزني قال رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلى ﷺ يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم.** (١)

ومعنى شهباء: بيضاء يخالطها قليل سواد. (٢)، وثبت عنه أنه ركب يوم النحر ناقة صهباء، والصهبة: صفرة تضرب إلى الحمرة والبياض، وقيل: الصهباء: البيضاء التي يخالط بياضها حمرة، **فعن قدامة بن عبد الله العامري ﷺ، قال : رأيت النبي ﷺ رمى جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء .** (٣)

ثانياً: ألوان محببة في الملابس:

فمن المستحب لبسه وتكفين به الموتى الأبيض من الثياب، **فعن ابن عباس ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم.** (٤)

وإنما اختار النبي اللون الأبيض هنا لأن الثياب البيض لنقائها يظهر ما يخالطها من الدنس، ولسلامتها غالباً عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات، ولأن البياض قليل الحمل للدنس، ورغب النبي ﷺ في لبس الثياب

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب (المناسك) باب (أي وقت يخطب يوم النحر) حديث رقم ١٩٥١ ج٢ ص٥٠٧

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٨٤٣

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب (المناسك) باب (رمى الجمار راكباً) حديث رقم ٣٠٣٥ ج٢ ص١٠٠٩ وأحمد في مسنده حديث رقم ١٥٤١٢ ج٢٤ ص١٣٨

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب (اللباس) باب (باب في البياض) حديث رقم ٤٠٥٨ ج٤ ص٤٠٤ وأحمد في مسنده حديث رقم ٢٢١٩ ج٤ ص٩٤

البيضاء أو البيض ووصفها بأنّها "أطيب" لدلالتها غالباً على التواضع، وعدم الكبر والخيلاء والعجب. أما سبب كونها "أطهر" فلأنها كما قال العيني: أكثر تأثراً من الثياب الملونة، فتغسل أكثر من غيرها، وتَطْهُر أكثر من سواها، وقد تقع في الثياب المصبوغة نجاسة فلا تُرى، أما الثياب البيض فإنها تكشف ما عليها، وفي البياض إشعار بطهارة الباطن من الغش والحقد والعداوة والبغضاء وسائر الأخلاق الذميمة الدنيئة. وفيها تذكير للحي بثوبه الأخير الذي يخرج به من الدنيا. [1]

ثالثاً: ألوان ارتبطت بها أحكام شرعية في الطهارة والصلاة:

فمن أحكام الطهارة التي يتوصل إليها بمعرفة اللون اشتراط الغسل لصحة الصلاة بعد خروج المني، سواء كان خروجه يقظة أو مناماً، والذي يميز المني عن غيره اللون، فماء الرجل يختلف لونه عن ماء المرأة، وبناء على تحديد اللون يجب الغسل أو لا يجب، **فعن أم سليم، حدثت أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ: إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل. فقالت أم سليم: واستحييت من ذلك، قالت : وهل يكون هذا؟ فقال نبي الله ﷺ: نعم، فمن أين يكون الشبه؟ إن ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيهما علا، أو سبق، يكون منه الشبه.** [2]

---

[1] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ج٥ ص٢٣٣ تحقيق/الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ط/مكتبة دار البيان بدمشق ومكتبة المؤيد بالطائف سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

[2] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها) حديث رقم ٣١١ ج١ ص٢٥٠

ومن الألوان التي علق عليها النبي ﷺ حيض المرأة وطهرها اللون (السواد والصفرة)، **فعن عروة بن الزبير عن فاطمة بنت أبي حبيش: أنها كانت تستحاض فقال لها رسول الله ﷺ إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يعرف فأمسكي عن الصلاة فإذا كان الآخر فتوضئي فإنما هو عرق.** [1]

فتمييز لون الدم يحدد الطهر من عدمه، فإذا رأته أسوداً لم تطهر، وإذا رأته أصفراً طهرت.

وجاء عن أسماء بنت عميس قالت قلت يا رسول الله إن فاطمة بنت أبى حبيش استحيضت منذ كذا وكذا فلم تصل. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله إن هذا من الشيطان لتجلس في مِرْكَنٍ فإذا رأت صفرة فوق الماء فلتغتسل للظهر والعصر غسلاً واحداً وتغتسل للمغرب والعشاء غسلاً واحداً وتغتسل للفجر غسلاً واحداً وتتوضأ فيما بين ذلك. [2]

فالتمييز هنا حدده النبي بظهور لون الصفرة فوق الماء وهذا يدل على طهرها؛ ولذا عقبه بقوله فلتغتسل، لأن لون دم الحيض أسود، فالمعنى حينئذ: أي إذا رأت صفرة فوق الماء الذي تقعد فيه، فعند ذلك تصب الماء للغسل خارج المركن. وفائدة القعود في المركن لأنه يعلو الدم الماء فيظهر به تمييز دم الاستحاضة من غيره، فإنه إذا علا الدم الأصفر فوق الماء فهي

---

[1] الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الطهارة) باب (من قال توضأ لكل صلاة) حديث رقم ٣٠٨ ج١ ص٣٠٠

[2] الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الطهارة) باب (من قال تجمع بين الصلاتين وتغتسل لهما غسلاً) حديث رقم ٣٠٠ ج١ ص٢٩٦

مستحاضة، وإذا علا الدم الأسود فهو حيض، فهذه هي النكتة في الجلوس في المركن.

ومن أوضح الشواهد على ارتباط أحكام الصلاة ببعض الألوان ما جاء في السنة النبوية من تحديد نهاية الوقت الاختياري لصلاة العصر باصفرار الشمس، **فعن عن عبد الله ابن عمرو: وقت العصر ما لم تصفر الشمس.** (١)

والمعنى: ما لم تكن صفراء، فالوقت الاختياري لصلاة العصر ينتهي بمبدأ اصفرار الشمس، وهذا يعني عدم جواز تأخير صلاة العصر إلى اصفرار الشمس من غير عذر شرعي، فاللون حدد هنا وقت الصلاة.

وثمة مثال آخر يدل على اناطة حكم من أحكام الصلاة بلون معين، **فعن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرَّحْلِ، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار، والمرأة، والكلب الأسود. قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان.** (٢)

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب (أوقات الصلوات الخمس) حديث رقم ٦١٢ ج١ ص٤٢٧

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (قدر ما يستر المصلي) حديث رقم ٥١٠ ج١ ص٣٦٥ وابن ماجة في سننه كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) باب (ما يقطع الصلاة) حديث رقم ٩٥٢ ج١ ص٣٠٦ ومعنى الرحل : ما يوضع ==

فقد اختص النبي ﷺ الكلب الأسود دون الأصفر أو الأحمر بهذا الحكم، وكشف لأبي ذر عن علة التفريق بين الكلاب بألوانها؛ وهي أن الكلب الأسود يقطع الصلاة لأنه شيطان، وحدد العلماء علة كونه شيطان أن الشياطين تتصور بصور الكلاب السود كثيراً لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة، وقال بعض العلماء أنه لما كان الكلب الأسود أشدَّ ضرراً من غيره وأشدّ ترويعاً، كان الْمُصَلِّي إذا رآه اشتغل عن صلاته ؛ فانقطعَتْ عليه لذلك. [1]

رابعاً: ألوان ذكرها النبي ﷺ في معرض حديثه عن بيان فضل أمته عن سائر الأمم:

فقد روي **عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: " يقول الله تعالى: " يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟، قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا، فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا، فقال:**

==

على ظهر البعير ليركب عليه كالسرج للفرس، سمي الكلب الأسود شيطاناً لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعاً وأكثرها نعاساً.

[1] المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم لأحمد بن عمر الأنصاري أبو العباس القرطبي ج٢ ص١٠٩ تحقيق/ محيي الدين ديب مستو وآخرين ط/دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ط/الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود. (١)

فقد ذكر النبي ﷺ اللون الأسود هنا والأبيض ليبين سهولة تمييز هذه الأمة يوم القيامة عن غيرها من الأمم، فقد بشرهم النبي ﷺ بأنهم أكثر أهل الجنة فهم ربع أو ثلث أو نصف أهل الجنة، وقد أطلق الشعرة وليس المراد حقيقة الوحدة، لأنه لا يكون ثور ليس في جلده غير شعرة واحدة من غير لونه. فالكلام كناية عن قلة المسلمين عدداً بالنسبة لغيرهم من الأمم.

خامساً: ألوان ذكرت في أحاديث متفرقة:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث وإن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه، قالوا أكنت ترعى الغنم ؟ قال: وهل من نبي إلا وقد رعاها. (٢)

ومعنى نجني: من الجني وهو أخذ الثمر من الشجر. والكباث: النضيخ الغض من ثمر الأراك يشبه التين يأكله الناس وغيرهم. وذكر اللون

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (قصة يأجوج ومأجوج) حديث رقم ٣٣٤٨ ج٦ ص٤٦٤ وصحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (كون هذه الأمة نصف أهل الجنة) حديث رقم ٢٢١ ج١ ص٢٠٠، ٢٠١

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الأطعمة) باب (الكباث، وهو ورق الأراك) حديث رقم ٥٤٥٣ ج٩ ص٦٩٢ وصحيح مسلم كتاب (الأشربة) باب (فضيلة الأسود من الكباث) حديث رقم ٢٠٥٠ ج٣ ص١٦٢١

الأسود في الحديث دلالة على تمييزه بين أنواعه، والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالباً من يلازم رعي الغنم على ما ألفوه، فإن الراعي لكثرة تردده في الصحراء تحت الأشجار يكون أعرف من غيره.

وعن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال:والله لأن يُهْدَى بِهُدَاكَ رجل واحد خير لك من حمرالنَّعَمِ.[1]

واختار النبي الأحمر من الألوان لأنه أشرفها، والإبل أفضل أموال العرب، وحمر النعم: أعزها وأحسنها وهي أنفس الأموال عند العرب، يريد خير لك من أن تكون فتتصدق بها، ولكون الحمرة أشرف الألوان عندهم، قال: حمر النعم، والنعم بفتحتين إذا أطلق يراد به الإبل وحدها، وإن كان غيرها من الإبل والبقر والغنم، دخل في الاسم معها.

وفي الحديث حض عظيم على تعليم العلم وبثه في الناس، وعلى الوعظ والتذكير بالدار الآخرة والخير.

وعن عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: اعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم مُوتَانٌ يأخذ فيكم كَقُعَاصِ الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون

---

[1] الحديث أخرجه البخاري في صحيحيه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة) حديث رقم ٢٩٤٢ ج٦ ص١٣٦ وأحمد في مسنده حديث رقم ٢٢٠٧٥ ج٣٦ ص٣٩٢

بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً. [١]

فدل اللون الأصفر هنا (وبين بني الأصفر) على الروم وقد سموا بذلك لأن أباهم الأول وهو الروم بن عيصو بن يعقوب بن إسحاق، كان أصفر في بياض، وقيل: سموا باسم رجل أسود ملك الروم، فنكح من نسائها فولد له أولاد في غاية الحسن؛ فنسب الروم إليه، فدلالة اللون هنا على الحسن والجمال.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم فإنه لا تجتمع أمتي على ضلالة. [٢]

وقد اختلف في بيان معنى السواد الأعظم، فقيل: جملة الناس ومعظمهم التي اجتمعت على طاعة السلطان وسلوك المنهج القويم؛ وقيل: التي اجتمعت على طاعة السلطان، براً كان أو فاجراً، ما أقام الصلاة؛ وقيل لأنس: أين الجماعة؟ فقال: مع أمرائكم، وقيل: السَّواد: العديد الكثير، وقيل:

---

[١] الحديث أخرجه البخاري في صحيحيه ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب (الجزية والموادعة) باب (ما يُحذَر من الغدر) حديث رقم ٣١٧٦ ج٦ ص٣٣٧ ومعنى قبة: كل بناء مدور. وأدم: جلد مدبوغ. وموتان: موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه. وكقعاص الغنم: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. واستفاضة المال: كثرته وزيادته عن الحد المعتاد. وفتنة: تقاتل واضطراب في الأحوال. وهدنة: صلح. وبني الأصفر: هم الروم. وغاية: رآية سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

[٢] الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب (الفتن) باب (السواد الأعظم) حديث رقم ٣٩٥٠ ج٢ ص١٣٠٣

المراد جمع المسلمين الذين هم في طاعة الإمام وهو السلطان الأعظم، وقيل: الجماعة من أهل الإيمان، وقيل: الكتاب والسنة لكثرة معانيهما، وقيل: كل عالم عامل بالكتاب والسنة، والمراد هنا ما عليه أكثر المسلمين، والحديث يدل على العمل بقول الجمهور، ودلالة السواد هنا على العدد الكثير والجماعة الكثيرة فإن اتفاقهم أقرب إلى الإجماع، ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الأعظم. (١)

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا:بلى،يا رسول الله قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهُمْ على الحوض.(٢)

فمعنى غرٌّ: أي بيض الوجوه. ومحجلة: أي بيض الأيدي والأرجل. ودهم: أي: سود. وبهم: البهم: السود، وقيل: الذي لا يخالط لونه لون سواه سواء كان أسود، أو أبيض، أو أحمر، بل يكون لونه خالصاً قرنه بالدهم مبالغة في السواد، فقد استخدم النبي ﷺ الألوان غير المباشرة هنا (غر، محجلة،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٢/ ١٢٧

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء) حديث رقم ٢٤٩ ج١ ص٢١٨ ومعنى فرطهم: متقدمهم إلى حوضي في المحشر فإن لكل نبي حوضاً يقال: فرط يفرط فهو فارط، وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية.

دهم، بهم) للتمييز ولمعرفة خيل الإنسان من خيل غيره، فكذلك نرى اختصاص هذه الأمة بالغرة والتحجيل من بين الأمم، ويكون الوجه كله متنوراً من أثر الوضوء، ولكن الجبهة تكون أشد تنوراً من أجل السجود.

الدلالة السياقية للألوان في الحديث النبوي الشريف:

من خلال العرض السابق نستطيع أن نستخلص أهم الدلالات السياقية للألوان في الحديث النبوي الشريف من خلال النقاط التالية:

١ ـ المفاضلة بين البشر لا تكون على أساس اللون، كما أنه لا يُعوَّل في نسب المولود على مخالفة لونه للون أبيه وأمه. فاختلاف الألوان لا يوجب نفي نسبة الولد لأبيه، فالشبه لا يوجب ثبوت الأنساب وعدمه لا يوجب انتفاء الأنساب، فمخالفة الولد لأبيه في اللون لا يوجب نفياً له لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه بأنه يركب صورة الولد على ما يشاء من الصور لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾[1]

٢ ـ دلالة تغير وجه النبي ﷺ دلالة غضب وانفعال وتأثر، فدلالة تلون وجه النبي ﷺ دلالة غضب لانتهاك حرمات الله، ليكون ذلك أوكد في الزجر عما نهي عنه، ودلالة تمعر وجه النبي ﷺ أي انقباضه وتغير لونه وعدم إشراقه دلالة غضب حين يسمع ما يسوؤه ويسوء زوجه خديجة بعد وفاتها، وذلك وفاء لحقها، ودلالة تربد الوجه أي تغيره وصيرورته كالرماد أو أن يكون أقرب إلى الغبرة دلالة شدة وكرب وذلك لما أصاب النبي ﷺ عند نزول الوحي من عظم موقع الوحي، ودلالة احمرار الوجه دلالة شدة وكرب عند

---

[1] سورة الانفطار آية ٦، ٧، ٨

نـزول الـوحي أو دلالـة غضـب وانفعـال، ودلالـة احمـرار العـين دلالـة تـأثر وتفاعل عند إلقاء الخطبة أو من شدة الغضب حتى يكون أوكد في التحذير من أمر منهي عنه.

٣ ـ جاء اللون الأخضر في السنة النبوية وصفاً للدنيا والمال والمرأة الحسناء في منبت السوء، وفي دلالة وصف الدنيا بالخضرة احتمالان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذلك الدنيا، والثاني: سرعة فنائها فهي كالشيء الأخضر من هاتين الحيثيتين، فالدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها، كالثمر المُستحلَى المعجب المرأى، وخضرتها عبارة عن نضارتها، وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس مُزيَّنة للناظرين، ودلالة وصف المال بالخضرة دلالة رغبة وميل وحرص للنفوس على المال كالفاكهة الخضراء المستلذة، كذلك دلالة فناء وليس بقاء، وهذا يظهر في اللون الأخضر فالعرب تطلق على كل شيء ناضر مشرق أخضر، كما أن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء فهي سريعة الفناء، ودلالة وصف المرأة الحسناء في المنبت السوء بخضراء الدمن، دلالة أن الأصل الخبيث يحن إلى أصله، فتجئ أولادها لأصلها في الغالب، فللمنبت شأن كبير في الزواج وفي أخلاق الولد، فلا قيمة للمرأة الحسناء إذا كانت من بيت سوء.

٤ ـ جاء اللون الأبيض وصفاً للملة الحنيفية ودلالته دلالة وضوح وصفاء ونقاء، فشريعته ﷺ لا تحتاج إلى تتمة ولا تفتقر إلى زيادة، كما جاء اللون الأسمر وصفاً للحنطة، والسمراء اسم من أسماء الحنطة الشامية وكانت أغلى ثمناً من البر الحجازي، وإنما سميت بذلك لكون لونها السمرة، والسمرة لون في منزلة بين البياض والسواد.

٥ ـ رغب النبي في لبس الأبيض من الثياب لدلالته على طهارة الباطن من الغش والحقد والعداوة والبغضاء وسائر الأخلاق الذميمة الدنيئة. وفيه تذكير للحي بثوبه الأخير الذي يخرج به من الدنيا، ولأن الثياب البيض لنقائها يطهر ما يخالطها من الدنس، ولسلامتها غالباً عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات، ولأن البياض قليل الحمل للدنس، ورغب النبي ﷺ في لبس الثياب البيضاء أو البيض ووصفها بأنّها "أطيب" لدلالتها غالباً على التواضع، وعدم الكبر والخيلاء والعجب.

٦ ـ اللون إحدى الصفات التي أناط بها النبي ﷺ بعض الأحكام الشرعية، ودلالته في الحديث تمييز دم الحيض عن غيره، وتحديد آخر الوقت الاختياري لصلاة العصر.

٧ ـ استخدم اللون الأبيض والأخضر في السنة النبوية للدلالة على النعيم لأهل الجنة، فروضة القبر وحلة المقام وقبة الشهداء كلها خضراء تعبر عن الجمال والراحة والاستقرار والسرور والابتهاج والصفاء وارتياح النظر، فدلالة اللون الأخضر دلالة إشراق وضياء وجمال، واللون الأخضر لون التفاؤل والراحة النفسية، لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحة وجمالاً، ويوحي اللون الأخضر بالارتياح النفسي والاطمئنان القلبي والنعيم المقيم، واللون الأبيض جاء في وصف وجوه ملائكة الرحمة، وماء حوض النبي ﷺ وماء الكوثر وتربة الجنة، وهو يدل على البهاء والصفاء والنقاء، كما يوحي هذا اللون بجمال المنظر وشدة الصفاء والنقاء وهو لون تستريح له النفس وتسر له العين ويرتاح له القلب ومن ثم كان دليلاً على النعيم لأهل الجنة يوم القيامة.

٨- الدلالة السياقية للألوان الواردة في وصف الأنبياء كموسى وعيسى دلالة إشراق ونضارة وجمال وكمال، ودلالة الألوان الواردة في وصف الخضر دلالة إشراق وضياء وجمال فاللون الأخضر لون التفاؤل وارتياح النظر ويشعر بالاطمئنان القلبي والنعيم المقيم، ودلالة اللون الوارد في وصف عين المسيح الدجال دلالة عيب فيها.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وتكمل المكرمات، وتُذلَّل العقبات، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،،،،،،،،،،

فقد تهادى البحث إلى منتهاه، بعدما توغل في مرتجاه، ونقَّب في مبتغاه، وها نحن بعد هذه الرحلة مع دلالة الألوان في السياق القرآني والنبوي نقف عند أهم ما تمخّض عنه البحث وأنتجته الدراسة:

١ ـ دراسة الألوان من الدراسات الممتعة التي تحتاج إلى وعي الدارس وثقافته، وتحتاج إلى تعمق الدارس في فهم الدلالة اللونية في تركيبها السياقي، واللون نعمة كغيرها من نعم الله ووسيلة من وسائل التعبير والخطاب، واللون قوة موحية تؤثر في جهازنا العصبي فيبعث فرحة لا يستهان بها عند التطلع إليه، وهو شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة.

٢ ـ استوعبت اللغة العربية ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة دلالات الألوان وتدرجاته وتبايناته المختلفة.

٣ ـ تنقسم الألوان إلى ألوان أساسية أو أصلية، وأخرى فرعية، وقد اختلف العلماء في تحديد عدد الألوان الأساسية الأصلية، فيرى أحد العلماء أن الألوان الأساسية هي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر، وزاد آخر الأزرق، والبني، والأرجواني، والوردي، والبرتقالي، والرمادي، وأما الألوان الفرعية فهي مشتقة من أسماء الأزهار والفاكهة والنبات والمعادن والفلزات مثل: اللون الوردي والبنفسجي والبرتقالي والزمردي والنحاسي

والفضي وغيرها، وهناك الألوان المختلطة غير مستقلة بذاتها ولكنها مركبة مع ألوان أخرى، فاللون البني مركب من الأحمر مع الأسود أو الأخضر مع البرتقالي.

٤ ـ للألوان الأصلية دلالات في اللغة، فاللون الأبيض لون يعبر عن الصفاء والنقاء وهو لون فاضل، ويعني الأمل النابع في وسط الظلام وله تأثير فعال يوحي بالصدق والأمانة كما يوحي بالبراءة والإخلاص، واللون الأسود محبب للنفس حيناً وبغيض أحياناً أخرى، وذلك حسب موضعه وسياقه الذي يقع فيه؛ فهو محبب في الشعر والعين واللثة، لكن يستنبط منه في معظم الأحيان الحزن والتشاؤم، فقد كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات، والمواقف الحزينة أو غير البهيجة، فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن، فربطوا السواد بالموت، واللون الأحمر يرتبط بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح وبعضها يثير الألم والانقباض، فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر، ومن ارتباطه بلون النار مادة الشيطان استعمل للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، ومن ارتباطه بالذهب والياقوت والورد استعمل رمزاً للجمال، ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة استعمل رمزاً للخجل والحياء تارة، وللغضب تارة أخرى، واللون الأخضر لون الحياة والحركة والسرور؛ لأنه يهدئ النفس ويسرها، وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل، وهو لون الربيع والطبيعة الحية والحدائق والأشجار والأغصان والبراعم، ويعتبر اللون الأصفر من أشد الألوان فرحاً؛ لأنه منير للغاية ومبهج، وهذا اللون يمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية؛ لأنه لون الشمس

مصدر الضوء وواهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور، وللون الأصفر دلالة أخرى تناقض الأولى، وهي دلالته على الحزن والهم والذبول والكسل والموت والفناء، ربما الدلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحاري الجافة وصفرة وجوه المرضى، ويعتبر اللون الأزرق لون الوقار والسكينة والهدوء والصداقة والحكمة والتفكير، واللون الذي يشجع على التخيل الهادئ والتأمل الباطني، ويخفف من حدة ثورة الغضب، ويهدئ من ضغط الدم والتنفس، وقد كره العرب اللون الأزرق والعيون الزرقاء، فاتهموا أصحابها بالكذب واللؤم والشر.

٥ ـ إن دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور، تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، وقد تعددت مؤلفات العلماء في دراسة الألوان فقديماً كانت هناك إشارات وأقوال متناثرة في كتب اللغة ومعاجمها ولكنها متفرقة تحتاج إلى جمع، وحديثاً كانت هناك مباحث قصيرة عارضة في مؤلفات بعض المعاصرين؛ وأبحاث وكتب مستقلة بهذا الموضوع، وعرضنا هذا بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا البحث.

٦ ـ ورد اللون الأبيض في القرآن الكريم في اثنتي عشرة آية، ودلالاته في هذه الآيات ما يلي:

١ـ دلالة تحديد وقت الفجر الحقيقي من الوهمي إذا كان في وقت الفجر.

٢ـ ودلالة بيان وجوه أهل السعادة يوم القيامة.

٣ـ ودلالة معجزة موسى عليه السلام من ابيضاض يده من غير سوء (البرص).

٤ـ ودلالة بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد.

٥ـ ودلالة لون بعض الجبال.

٦ـ ودلالة وصف مشروبات أهل الجنة.

٧ـ ودلالة وصف نساء الجنة.

٧ ـ ورد اللون الأسود في القرآن الكريم بمشتقاته ثماني مرات في سبع آيات، ودلالاته في هذه الآيات ما يلي:

١ـ دلالة ظلمة الليل.

٢ـ ودلالة لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله.

٣ـ ودلالة الكرب والحزن والهم.

٤ـ ودلالة لون بعض الجبال.

٨ ـ ورد اللون الأخضر في القرآن الكريم بمشتقاته ثماني مرات، وقد توزع على النبات، والأرض، والحيوان، واللباس، وتبرز دلالة اللون الأخضر في الآيات القرآنية لتدل على حقيقتين هما:

الأولى: يكون الأخضر فيها له وجود مؤقت وزائل لأنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الدنيا، فالأخضر الأرضي مصيره إلى الزوال والرجوع إلى أصله الترابي، وهو لون النبات والشجر والأرض بعد نزول المطر المسبب عن هذه الخضرة.

والثانية: يكون الأخضر فيها له وجود دائم ومستمر لا يزول، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخرة، فالأخضر الأخروي متمثل في لون ثياب أهل الجنة

ورياضها وفرشها، فهو لون تستريح له النفس ويبعث الطمأنينة وهو أرفق بالأبصار، ويوحي بالارتياح النفسي والاطمئنان القلبي والنعيم المقيم.

٩ ــ ورد اللون الأصفر في القرآن الكريم خمس مرات في خمس آيات، ودلالته في هذه الآيات كما يلي:

١ــ دلالة إدخال السرور على من ينظر إلى هذا اللون إذا كان في الحيوان،٢ـ دلالة الإفساد والدمار إذا كان في الريح، ٣. دلالة الفناء واليبوسة والتهشم إذا كان في الزروع، ٤. دلالة وصف شرر جهنم المتطاير بالجمال الصفر، ويتضح تغير دلالة اللون الأصفر فرحاً أو ترحاً من آية لأخرى تبعاً للسياق، فالأصفر في البقر يسر العين، وفي الدلالات الباقية يدل على المرض والموت ونهاية الحياة.

١٠ ـ ورد اللون الأحمر في القرآن الكريم في آية واحدة، ودلالته لون قطع بعض الجبال ولون الثمار بالأشجار.

١١ ـ ورد اللون الأزرق في القرآن الكريم في آية واحدة، ودلالته لون وجوه المجرمين عند الحشر وهو يدل على الخوف والرهبة والوجل من شدة أهوال ذلك اليوم.

١٢ ـ وردت الألوان الفرعية كالدهمة وهو الأخضر المسود في القرآن الكريم في آية واحدة، ودلالته وصف لخضرة الجنة وقد مالت للسواد إشارة إلى النعيم والرخاء عند أهل الجنة.

١٣ ـ ومن الألوان الفرعية في القرآن الكريم الحوة السواد من شدة الخضرة، أو السواد إذا أصابته رطوبة من شدة اليبس، ودلالته ضرب مثل للكفار على ذهاب الدنيا بعد نضارتها، فالله تعالى خلق الأنواع كلها، فخلق الأرض التي

جعلها زينة وفيها الخصب والنماء، وأنها تتحول إلى غثاء أحوى، فكذلك يخرج الحي من الميت، والميت من الحي.

١٤ ـ ومن الألوان الفرعية في القرآن الكريم اللون الوردي الدهني، ودلالته دلالة فزع ورهبة وخوف وذلك من شدة هول ورهبة ذلك اليوم العظيم يوم تنشق السماء.

١٥ ـ ورد اللون في السنة النبوية ليدل على أن المفاضلة بين البشر لا تكون على أساسه، كما أنه لا يُعوَّل في نسب المولود على مخالفة لونه للون أبيه وأمه.

١٦ ـ الألوان الواردة في السنة النبوية في هذا البحث هي الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر والأسمر والآدم والأشهب والأصهب والأدهم والأزهر والأربد والأمغر، ويلاحظ أن البياض والسواد والخضرة وردت أكثر من غيرها، كما أن النبي ﷺ استخدم الترادف للتعبير عن اللون الواحد مثل: أسمر وآدم، وأسود وأدهم.

١٧ ـ تغير اللون إلى الصفرة أو الحمرة أو قلة النضارة والإشراق صفة بارزة على وجه النبي ﷺ عند الغضب أو نزول الشدة، كما أن دلالة تغير وجه النبي ﷺ دلالة غضب وانفعال وتأثر، فدلالة تلون وجه النبي ﷺ دلالة غضب لانتهاك حرمات الله، ليكون ذلك أوكد في الزجر عما نهي عنه، ودلالة تمعر وجه النبي ﷺ أي انقباضه وتغير لونه وعدم إشراقه دلالة غضب حين يسمع ما يسوؤه ويسوء زوجه خديجة بعد وفاتها، وذلك وفاء لحقها، ودلالة تربد الوجه أي تغيره وصيرورته كالرماد أو أن يكون أقرب إلى الغبرة دلالة شدة وكرب وذلك لما أصاب النبي ﷺ عند نزول الوحي من عظم موقع الوحي، ودلالة احمرار الوجه دلالة شدة وكرب عند نزول الوحي أو

دلالة غضب وانفعال، ودلالة احمرار العين دلالة تأثر وتفاعل عند إلقاء الخطبة أو من شدة الغضب حتى يكون أوكد في التحذير من أمر منهي عنه.

١٨ ـ جاء اللون الأخضر في السنة النبوية وصفاً للدنيا والمال والمرأة الحسناء في منبت السوء، وفي دلالة وصف الدنيا بالخضرة احتمالان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذلك الدنيا، والثاني: سرعة فنائها فهي كالشيء الأخضر من هاتين الحيثيتين، فالدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها، كالثمر المُستحلَى المعجب المرأى، وخضرتها عبارة عن نضارتها، وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس مُزيَّنة للناظرين، ودلالة وصف المال بالخضرة دلالة رغبة وميل وحرص للنفوس على المال كالفاكهة الخضراء المستلذة، كذلك دلالة فناء وليس بقاء، وهذا يظهر في اللون الأخضر فالعرب تطلق على كل شيء ناضر مشرق أخضر، كما أن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء فهي سريعة الفناء، ودلالة وصف المرأة الحسناء في المنبت السوء بخضراء الدمن، دلالة أن الأصل الخبيث يحن إلى أصله، فتجئ أولادها لأصلها في الغالب، فللمنبت شأن كبير في الزواج وفي أخلاق الولد، فلا قيمة للمرأة الحسناء إذا كانت من بيت سوء.

١٩ ـ جاء اللون الأبيض وصفاً للملة الحنيفية ودلالته دلالة وضوح وصفاء ونقاء، فشريعته ﷺ لا تحتاج إلى تتمة ولا تفتقر إلى زيادة، كما جاء اللون الأسمر وصفاً للحنطة، والسمراء اسم من أسماء الحنطة الشامية وكانت أغلى ثمناً من البر الحجازي، وإنما سميت بذلك لكون لونها السمرة، والسمرة لون في منزلة بين البياض والسواد.

٢٠ ـ لبس النبي ﷺ من الثياب الأبيض والأسود والأخضر والأحمر وهذا يدل على جوازه شرعاً، كما رغّب في لبس الأبيض وفي استخدامه في تكفين الموتى، كما ذكر الصحابة لون بغلة النبي ﷺ التي خطب عليها بمنى فذكروا أنها شهباء أو صهباء، والشهباء: بيضاء يخالطها قليل سواد، والصهباء: البيضاء التي يخالط بياضها حمرة، أو الصفراء التي تضرب إلى الحمرة والبياض.

٢١ ـ اللون إحدى الصفات التي أناط بها النبي ﷺ بعض الأحكام الشرعية، كتمييز دم الحيض عن غيره، وتحديد آخر الوقت الاختياري لصلاة العصر.

٢٢ ـ عند وصف الإنسان يُسهل ذكر اللون من معرفته؛ ومن ثم بالغ الصحابة في وصف النبي ﷺ بألوان مستحسنة كلها تدل على الجمال والكمال، كما وصفوا لون بشرته في الرضا والغضب والشدة ولون حدقتي عينيه، كما عُني النبيﷺ بوصف لون بعض الرسل كموسى وعيسى وبعض الصالحين كالخضر، كما وصف لون المسيح الدجال.

٢٣ ـ استخدم اللون الأبيض والأخضر في السنة النبوية للدلالة على النعيم لأهل الجنة، فروضة القبر وحلة المقام وقبة الشهداء كلها خضراء تعبر عن الجمال والراحة والاستقرار والسرور والابتهاج والصفاء والتفاؤل وارتياح النظر، واللون الأبيض جاء في وصف وجوه ملائكة الرحمة، وماء حوض النبي ﷺ وماء الكوثر وتربة الجنة، وهو يعبر عن البهاء والصفاء والنقاء.

٢٤ ـ ذكر النبي ﷺ اللون الأسود والأبيض ليبين سهولة تمييز هذه الأمة يوم القيامة عن غيرها من الأمم، وذكر اللون الأسود في الحديث للدلالة على تمييزه بين أنواع ثمر الأراك، والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالباً من يلازم رعي الغنم على ما ألفوه، وفي مجال الحض على العلم وبثه في

الناس، وعلى الوعظ والتذكير بالدار الآخرة والخير، اختار النبي ﷺ الأحمر من الألوان لأنه أشرفها، والإبل من الأنعام لأنها أفضل أموال العرب، فعبر بحمر النعم، وهي أعزها وأحسنها وهي أنفس الأموال عند العرب.

٢٥ ـ يعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الأعظم الوارد في الحديث، واستخدم النبي ﷺ الألوان غير المباشرة (غر، محجلة، دهم، بهم) للتمييز ولمعرفة خيل الإنسان من خيل غيره، فكذلك نرى اختصاص هذه الأمة بالغرة والتحجيل من بين الأمم، ويكون الوجه كله متنوراً من أثر الوضوء، والجبهة تكون أشد تنوراً من أجل السجود.

٢٦ ـ يوصي البحث الدارسين بتوسيع دائرة دلالة الألوان في السياق في المجالات اللغوية المتعددة، فبجانب الآيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، هناك الاستعمالات العربية الفصيحة التي تعج بالعديد من المسائل التي تعالج هذه الظاهرة، كذلك يوصي البحث بمحاولة إثراء المكتبة العربية بالدراسات التي تظهر ما للسياق من دور في تحديد دلالة الألوان.

وختاماً: فإن ما ذكرته من دلالات للألوان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هو غيض من فيض دلالات من لدن كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام ولا تنقضي عجائبهما، فمهما عبر اللغويون وتكلم البلاغيون وأبدع النحويون فلن يوفوا حق كتاب الله تعالى وسنة نبيه لأنهما بحر لا ساحل له، كلما انجلت منه قطرات، أعقبت بفلوج متحدرة من هنا وهناك استجابة لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[1]

والحمد لله أولاً وآخراً،،،،،،،،،،،،

الدكتـــور

مجـــدي فتحـــي محمـــد محمـــد

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية

الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة

(1) سورة الكهف آية ١٠٩

فهرس المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم.

أ . الكتب المطبوعة

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط/ مصطفى البابي الحلبي ط/ثالثة سنة ١٣٧٠هـ سنة ١٩٥١م

٣ ـ أساس البلاغة للزمخشري تقديم/محمود فهمي حجازي ط/الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة الذخائر رقم ٩٥ مايو٢٠٠٣م

٤ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

٥ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق/سمير جابر ط/دار الفكر ببيروت ط/الثانية

٦ـ الألوان ليحيي حمودة ط/مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٦٥م

٧ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط/دار الفكر ببيروت دون تاريخ

٨ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ط/مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط/الخامسة سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

٩ـ بحر العلوم للسمرقندي تحقيق/محمود مطرجي ط/دار الفكر ببيروت دون تاريخ

١٠. البيان والتبيين للجاحظ ط/دار ومكتبة الهلال ببيروت سنة ١٤٢٣هـ

١١ . تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق/علي شيري ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

١٢ . التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ط/مؤسسة التاريخ العربي ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

١٣ . التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي تحقيق د/عبد الله الخالدي ط/الأرقم ابن أبي الأرقم ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٦هـ

١٤ . التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية لعلي علي صبح ط/المكتبة الأزهرية للتراث دون تاريخ

١٥ . تفسير الشعراوي (الخواطر) لمحمد متولي الشعراوي ط/مطابع أخبار اليوم سنة ١٩٩٧م

١٦ . تفسير القرآن للسمعاني تحقيق/ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ط/دار الوطن بالرياض ط/الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

١٧ . تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم تحقيق/أسعد محمد الطيب ط/نزار مصطفى الباز بالمملكة العربية السعودية ط/الثالثة سنة ١٤١٩هـ

١٨ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق/محمود حسن ط/دار الفكر سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

١٩ . التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ط/دار الفكر العربي بالقاهرة دون تاريخ

٢٠ . تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ط/مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م

٢١ . تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق/مروان محمد الشعار ط/دار النفائس ببيروت سنة ٢٠٠٥م

٢٢ . التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي ط/دار الجيل الجديد ببيروت ط/العاشرة سنة ١٤١٣هـ

٢٣ . التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ط/دار نهضة مصر بالفجالة ط/الأولى سنة ١٩٩٧م

٢٤ . تهذيب اللغة للأزهري تحقيق/محمد عوض مرعب ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت ط/الأولى سنة ٢٠٠١م

٢٥ . التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ط/مكتبة الإمام الشافعي بالرياض ط/الثالثة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٢٦ . جامع البيان في تأويل القرآن للطبري تحقيق/أحمد محمد شاكر ط/الرسالة ببيروت سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

٢٧ . الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار لابن عبد البرتحقيق/سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

٢٨ . جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق/رمزي منير بعلبكي ط/دار العلم للملايين ببيروت ط/الأولى سنة ١٩٨٧م

٢٩ . الجيم لأبي عمرو الشيباني تحقيق/إبراهيم الإبياري ط/الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

٣٠ . الحيوان للجاحظ تحقيق/عبد السلام هارون ط/مصطفى البابي الحلبي ط/الأولى سنة ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م

٣١ . الخصائص لابن جني تحقيق/محمد علي النجار ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/الرابعة سنة ١٩٩٩م

٣٢ . خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت تحقيق/عبد الستار أحمد فراج ضمن سلسلة التراث العربي الصادرة عن وزارة الإعلام بالكويت ط/مطبعة الكويت ط/الثانية سنة ١٩٨٥م

٣٣ . الخيل لأبي عبيد معمر بن المثنى ط/مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالدكن الهند ط/الأولى سنة ١٣٥٨هـ

٣٤ . الخيل مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال لابن جزي الكلبي تحقيق/محمد العربي الخطابي ط/دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

٣٥ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق/أحمد محمد خراط ط/دار القلم بدمشق دون تاريخ

٣٦ . دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي ط/ دار المنار سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م

٣٧ . دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي لضاري مظهر صالح ط/دار الزمان بسوريا ط/الأولى سنة ٢٠١٢م

٣٨ . دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٠٥هـ

٣٩ . دور الكلمة في اللغة تأليف ستيفن أولمان ترجمة د / كمال محمد بشر ط/مكتبة الشباب سنة ١٩٩٢م

٤٠ . ديوان الأدب للفارابي تحقيق د/أحمد مختار عمر ط/دار الشعب سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

٤١ . ديوان امرئ القيس ط/دار المعرفة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

٤٢ . ديوان النابغة الذبياني ط/دار المعرفة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٤٣ . رسائل ابن رشد ط/مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدرأباد ط/الأولى سنة ١٩٤٧م

٤٤ . روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي ط/دار الفكر دون تاريخ

٤٥ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ط/إحياء التراث العربي ببيروت دون تاريخ

٤٦ . زهرة التفاسير لأبي زهرة ط/دار الفكر العربي دون تاريخ

٤٧ . سنن ابن ماجة تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ط/عيسى البابي الحلبي دون تاريخ

٤٨ . سنن أبي داود تحقيق/محمد عوامة ط/دار القبلة للثقافة الإسلامية بالسعودية ومؤسسة الريان ببيروت والمكتبة المكية بمكة المكرمة ط/الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٤٩ . سنن الترمذي تحقيق/بشار عواد معروف ط/دار الغرب الإسلامي ط/الأولى سنة ١٩٩٦م

٥٠ . السنن الكبرى للنسائي تحقيق/حسن عبد المنعم شلبي ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

٥١ . صحيح ابن حبان تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م

٥٢ . صحيح مسلم تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ط/عيسى البابي الحلبي ودار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م

٥٣ . صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم لابن أبي الدنيا تحقيق/عمرو عبد المنعم سليم ط/مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة دون تاريخ

٥٤ . العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني ط/وزارة الثقافة والإعلام بالعراق سنة ١٩٨١م

٥٥ . علم الدلالة بين النظرية والتطبيق د/هويدي شعبان هويدي ط/دار الثقافة العربية ط/ثانية سنة ١٩٩٥م

٥٦ . العين للخليل بن أحمد تحقيق د/مهدي المخزومي ود/إبراهيم السامرائي ط/مؤسسة الأعلمي ببيروت ط/الأولى سنة ١٩٨٨م ١٤٠٨هـ

٥٧ . غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ط/دار الكتاب العربي ببيروت سنة١٩٧٦م ١٣٩٦هـ

٥٨ . غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق د/محمد عبد المعيد خان ط/مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ط/الأولى سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م

٥٩ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني تحقيق/عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ط/دار الحديث بالقاهرة ط/الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٦٠ . فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ط/المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٦١ . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ط/دار ابن كثير بدمشق ودار الكلم الطيب ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٤هـ

٦٢ . الفتوحات المكية لابن عربي تحقيق/أحمد شمس الدين ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٦٣ . فقه اللغة وسر العربية للثعالبي تحقيق/عبد الرزاق المهدي ط/دار إحياء التراث العربي ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

٦٤ . فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي تحقيق/ياسين الأيوبي ط/المكتبة العصرية ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

٦٥ . فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي ط/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط/الأولى سنة ١٣٥٦هـ

٦٦ . القاموس المحيط للفيروزأبادي تحقيق/مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثامنة سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٦٧ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري تحقيق/عبد الرزاق المهدي ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت دون تاريخ

٦٨ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي تحقيق/ بكري حياني وصفوة السقا ط/مؤسسة الرسالة ط/الخامسة سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٦٩ . لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ط/دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٧٠ . لسان العرب لابن منظور تحقيق/عبد الله علي الكبير وآخرين ط/دار المعارف بمصر دون تاريخ

٧١ . لطائف الإشارات للقشيري تحقيق/إبراهيم البسيوني ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/الثالثة دون تاريخ

٧٢ . اللغة واللون لأحمد مختار عمر ط/عالم الكتب بمصر ط/الثانية سنة ١٩٩٧م

٧٣ . اللون ودلالته في الشعر لظاهر محمد هزاع الزواهرة ط/دار الحامد للنشر والتوزيع بالأردن ط/الأولى سنة٢٠٠٨م

٧٤ . مبادئ اللغة مع شرح أبياته للخطيب الاسكافي تحقيق د/عبد المجيد دياب ط/دار الفضيلة للطبع والنشر سنة ٢٠٠٠م

٧٥ . مجمل اللغة لابن فارس تحقيق/زهير عبد المحسن سلطان ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

٧٦ . المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ

٧٧ . المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تحقيق/عبد الحميد هنداوي ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ

٧٨ . المحيط في اللغة للصاحب بن عباد تحقيق/محمد حسن آل ياسين ط/عالم الكتب ط/الأولى سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٧٩ . المخصص لابن سيده تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي ببيروت ط/دار الآفاق الجديدة ببيروت دون تاريخ

٨٠ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ط/دار الفكر ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

٨١ . مسند الإمام أحمد تحقيق/شعيب الأرنؤوط وآخرين ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

٨٢ . مسند الشهاب القضاعي تحقيق/حمدي بن عبد المجيد السلفي ط/مؤسسة الرسالة ببيروت ط/الثانية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

٨٣ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ط/المكتبة العلمية ببيروت دون تاريخ

٨٤ . المصنف لابن أبي شيبة حديث رقم ٣٥٥٢٤ ج١٩ ص١٠٢ تحقيق/محمد عوامة ط/دار القبلة دون تاريخ

٨٥ . معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) للبغوي تحقيق/محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ط/دار طيبة للطبع والنشر ط/الرابعة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

٨٦ . معاني القرآن للفراء تحقيق/أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ط/دار المصرية للتأليف والترجمة بمصر ط/الأولى

٨٧ . المعجم الوسيط أخرجه د/إبراهيم أنيس وآخرون ط/دار المعارف ط/ثانية سنة١٤٠٠هـ١٩٨٠م

٨٨ . المعنى بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجاحظ تأليف د/ محمد عبد الحفيظ العريان ط/أولى سنة ١٩٩٣م

٨٩ . مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤٢١هـ

٩٠ . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق/محمد سيد كيلاني ط/دار المعرفة بلبنان دون تاريخ

٩١ . المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم لأحمد بن عمر الأنصاري أبو العباس القرطبي تحقيق/محيي الدين ديب مستو وآخرين ط/دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ط/الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٩٢ . مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق/عبد السلام هارون ط/دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٩٣ . الملمع للنمري تحقيق/وجيهة أحمد السطل مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط/مطبعة زيد بن ثابت بدمشق سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م

٩٤ ـ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم تحقيق/الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ط/مكتبة دار البيان بدمشق ومكتبة المؤيد بالطائف سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٩٥ . مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ط/مكتبة الأنجلو المصرية دون تاريخ

٩٦ . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت ط/الثانية سنة ١٣٩٢هـ

٩٧ . الموسوعة العربية الميسرة لمحمد شفيق غربال وآخرين ط/المكتبة العصرية ببيروت ط/الثالثة سنة ٢٠٠٩م

٩٨ . الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري ط/مؤسسة سجل العرب سنة ١٤٠٥هـ

٩٩ . الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ط/دار الكتب العلمية ببيروت ط/الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

١٠٠ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق/إحسان عباس ط/دار صادر ببيروت سنة ١٩٧١م

ب . الرسائل العلمية

١٠١ . توظيف اللون في شعر ابن الرومي رسالة دكتوراه للباحثة/نارمين محب عبد الحميد حسن بجامعة الزقازيق كلية الآداب إشراف أد/أحمد يوسف

١٠٢ . جماليات اللون في شعر لسان الدين بن الخطيب رسالة دكتوراه للباحث/ منور محمد الحربي إشراف أد/يونس شنوان بجامعة اليرموك بالأردن سنة ٢٠١٨م

١٠٣ . دلالات الألوان في شعر نزار قباني رسالة ماجستير للباحث/أحمد عبد الله محمد حمدان جامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين كلية الدراسات العليا سنة ٢٠٠٨م

١٠٤ . دلالة اللون في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم رسالة ماجستير للباحث/ حمد محمد فتحي إلياس إشراف د/ميسر حميد سعيد كلية الآداب جامعة الموصل سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

١٠٥ . اللون ودلالته في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحثه/نجاح عبد الرحمن المرازقة إشراف د/حسن محمد الربابعة بجامعة مؤتة سنة ٢٠١٠م

ج . المجلات والدوريات

١٠٦ . لونيات ابن خفاجه الأندلسي لزهراء زارع خفري ود/صادق عسكري ود/محترم عسكري بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها العدد التاسع سنة ٢٠١٢م

١٠٧ . جماليات اللون في الشعر ابن المعتز نموذجاً لعبد الفتاح نافع بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة عناية بالجزائر العدد الرابع سنة ١٩٩٩م

١٠٨ . حد اللغة بين المعيار والاستعمال لعبد السلام المسدي بحث منشور في مجلة الأقلام العدد ٥ سنة ١٩٨٥م

١٠٩ . دلالة الألوان في شعر المتنبي لعيسى متقي زاده وخاطره أحمدي بحث منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الرابعة العدد الخامس عشر سنة ٢٠١٤م

١١٠ . دلالة الألوان في شعر يحيي السماوي لمرضية آباد ورسول بلاوي بحث منشور في مجلة إضاءات نقدية السنة الثانية العدد الثامن سنة ٢٠١٢م

١١١ . رسالة في الألوان لمحمود شكري الألوسي بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الأول الجزء الثالث ١٣٣٩هـ ١٩٢١م

١١٢ . ظاهرة اللون في القرآن الكريم لمحمد قرانيا بحث منشور في مجلة التراث العربي العدد ٧٠ كانون الثاني يناير السنة الثامنة عشرة

١١٣ ـ الألوان في معجم العربية لخليفة عبد الكريم بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٣٣ سنة ١٩٨٧م

١١٤ ـ الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخطوطات العربية لحنان عبد الفتاح محمد مطاوع بحث منشور في مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ١٨

١١٥ ـ الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم لسليمان بن علي الشعيلي بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية المجلد الرابع العدد الثالث سنة ٢٠٠٧م

١١٦ . التدبيج في القرآن الكريم لعبد القادر عبد الله فتحي الحمداني بحث منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد ١١ العدد ٢

فهرس الموضوعات

الموضـــوع
ملخص البحث
Research Summary
المقدمة
المبحث الأول: مفهوم اللون والدلالة السياقية ومدلولات اللون في اللغة
المبحث الثاني: اللون في التراث العربي
المبحث الثالث: دلالة الألوان في السياق القرآني
المطلب الأول: الألوان الأصلية
المطلب الثاني: الألوان الفرعية
المبحث الرابع: دلالة الألوان في السياق النبوي
المطلب الأول: صيغ ورود اللون في السنة النبوية الشريفة
المطلب الثاني: ألوان البشر ليست معياراً للتفاضل أو نفي الأنساب
المطلب الثالث: الألوان الواردة في وصف النبي ﷺ ومن وصفه النبي ﷺ
المطلب الرابع: الألوان التي ظهرت على وجه النبي ﷺ لحدوث أمر عارض

المطلب الخامس: دلالة الألوان في وصف الدنيا والمرأة والملة والحنطة
المطلب السادس: دلالة اللون الأخضر والأبيض على النعيم
المطلب السابع: مسائل متفرقة في ألوان ذكرت في السنة النبوية المشرفة
الخاتمة
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات